

إعداد

د / نظير محمد محمد عياد

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونشكره ولا نكفره ، ونعادي من يكفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له ، وأشهد أن لا أله إلا الله خصنا بخير كتاب أنزل ، وشرفنا بخير نبي أرسل ، وجعلنا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم أحينا على سنته وأمتنا على ملته واحشرنا في زمرته ، وألحقنا بصحبته اللهم أمين .

أما بعد ...

فمن المعلوم أن عقيدة التوحيد كانت محور الرسالات السماوية كلها ، وأهم مبدأ كان الرسول يدعو قومه إليه قبل أي أمر آخر وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة، كما أكد علي وحدة الديانات كلها في هذا الأمر.

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [2]

و قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ... ﴿٧٣﴾ ﴾[3].

و قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ... ﴿٨٥﴾ ﴾ [4] .

---

١ ـ سورة الأعراف الآية ٥٩ .

٢ ـ سورة هود الآية ٦٥ .

٣ ـ سورة هود الآية ٧٣ .

٤ ـ سورة هود الآية ٨٥ .

كما جاء علي لسان ابراهيم : ﴿ ...إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

كما أخبر القرآن عن وصية يعقوب لأبنائه من بعده وهي الدعوة إلى التوحيد

قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[2].

وأخبر القرآن أن دعوة عيسى ﷺ إلى قومه كانت الدعوة إلى التوحيد. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[3]

ثم إن رسالة سيدنا محمد ﷺ كانت نفس دعوة من كان قبله وذلك لوحدة المصدر والغاية قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ...﴾[4]. **فضلاً عن هذا كله كشف القرآن الكريم عن أمر في غاية الأهمية ؛ ألا وهو أن سنة الله تعالى اقتضت أن يرسل لكل أمة من يدعوها إلى التوحيد ويحذرها من الشرك والوثنية لئلا يكون للناس حجة علي الله تعالى . فقال تعالى :** ﴿ وَلَقَدْ

---

١ ــ سورة الأنعام ٧٩ .

٢ ــ سورة البقرة ١٣٣ .

٣ ــ سورة المائدة الآيتان ١٢٦ ــ ١٢٧ .

٤ ــ سورة الأنعام الآيات ١٦١ : ١٦٣ .

بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

ولقد كان من فضائل الحكمة الإلهية أن أرسل رسلاً كثيرين الى بني إسرائيل ، وذلك بقصد العودة بهم إلى الصواب كلما انحرفوا إلى الشرك والوثنية ، إلا أن حظ الأنبياء فيهم كان ما بين مكذب أو مقتول قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلاً ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[4].

كل هذا يؤكد أن الأديان السماوية جاءت متفقة في الدعوة إلى التوحيد وذلك لوحدة المصدر والغاية ، ومعني هذا أن أي انحراف يأتي في الرسالات السماوية يكون هذا من فعل أتباعها لا من فعل من أرسلوا بها وإلا تناقضوا مع الغاية التي ابتعثوا من أجلها. وهذا ما حدث في الديانة النصرانية فقد كانت في الأصل ديانة موحدة إلا أنها حرفت بفعل أتباعها وابتعدت عن الوحدانية ووقعت في براثن الشرك ، فدانت بتعدد الآلهة واعتقدت ألوهية أقانيم ثلاثة هي الأب ، الابن ، الروح القدس، وجعلت كل واحد منهم إلها كامل الألوهية . فإلي الأب يكون الخلق عن طريق الابن ، وإلي الابن الفداء ، وإلي الروح القدس التطهير ، غير أنهم يتقاسمون الأعمال الإلهية علي السواء ، ثم مع تعددهم فهم في الأصل إله واحد هكذا يعتقدون . ثم زعموا زوراً أن العقيدة النصرانية بهذه الكيفية التي يدينون بها عقيدة صحيحة لا تناقض فيها ؛ بل الأعجب من هذا أنهم جعلوا الدخول إلى المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسر الأزل أعني الثالوث المقدس مع اعترافهم بكونه سراً يصعب علي العقل فهمه ،

١ــ سورة النحل الآية ٣٦ .

٢- سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

٣- سورة البقرة الآية ٨٧ .

٤- سورة المائدة الآية ٧٠ .

وهذا هو الدافع الأكبر في اضطراب فهم النصارى للثالوث. وهذا البحث محاولة لتجلية الحقيقة وبيان الحق من الباطل وكشف أصل هذه الديانة ، وبيان كيف تحولت بفعل أتباعها من التوحيد إلى الشرك؟ لاسيما وأن القرآن الكريم وهو أصدق كتاب بيننا حيث تولى الله تعالى حفظه . فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[1] .

قد أخبرنا أن دعوة عيسى عليه السلام كانت دعوة إلى الوحدانية الخالصة ؛ بل إنه أخبر أن عيسى تبرأ من الشرك وأهله وحكم عليهم بالكفر وبين لهم سوء عاقبته.

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣ ﴾[2] .

وعلى ضوء ما جاء في القرآن يكون عيسى عليه السلام بريئا من الدعوة لغير الله تعالى ، وإذا كان الأمر على هذا النحو فما الذي دفع النصارى إلى التصديق بهذه العقيدة الباطلة التي تتصادم مع العقل والنقل والواقع ؟ وما سر تشبثهم بها ؟ ولماذا كل هذه المحاولات للجمع بين أمرين متعارضين ؟ وما الطرق التي اتبعت في سبيل هذا الجمع ؟ وكيف تحولت النصرانية من التوحيد إلى التثليث ؟ وما مصدر هذه العقيدة الباطلة ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها هي محور هذا البحث الذي جاء على النحو التالي : يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول :

المقدمة : وفيها عرض لأهمية الموضوع ، والخطة التي اشتمل عليها البحث.

التمهيد : فقد خصصته للحديث عن التوحيد في القرآن الكريم كما جاء على لسان عيسى عليه السلام .

الفصل الأول بعنوان: الوحدانية عند النصارى. وجاء في مبحثين :

١- الحجر الآية ٩ .

٢- سورة المائدة الآيتان ٧٢ -٧٣ .

المبحث الأول : التوحيد في المصادر النصرانية :
المبحث الثاني : منزلة وحدانية الإله عند النصارى:

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان : التثليث مفهومه ومصدره واشتمل على تمهيد وأربعة مباحث :

التمهيد: : و فيه بيان لمعني كلمة تثليث كما جاءت في معاجم اللغة .وكتب النصارى .
المبحث الأول : التثليث عند المصريين القدماء.
المبحث الثاني : التثليث عند الهنود .
المبحث الثالث : التثليث عند البوذيين و البابليين .
المبحث الرابع : التثليث عند اليونانيين.

الفصل الثالث : النصارى بين التوحيد والتثليث ، وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : مضمون التثليث في العقيدة النصرانية .
المبحث الثاني : كيف تحولت عقيدة النصارى من التوحيد إلى التثليث ؟
المبحث الثالث : موقف الفرق النصرانية من وحدانية الإله الواردة في الأناجيل.

أما الفصل الرابع : فجاء بعنوان أدلة النصارى حول التثليث والرد عليها :
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أدلة النصارى على التثليث من العهد القديم .
المبحث الثاني : أدلة النصارى على التثليث من العهد الجديد .
المبحث الثالث : أدلة أخري للنصارى حول التثليث .

الفصل الخامس : إبطال التثليث عقلا ونقلا . وقد جاء في مبحثين

المبحث الأول : إبطال التثليث بالأدلة العقلية .
المبحث الثاني : إبطال التثليث بالأدلة النقلية .

وبعد ؛ فهذا جهدي وعملي أسأل الله تعالى أن ينال القبول ، فإن كنت أصبت فذلك من فضل الله ، وإن كانت الأخرى فذلك من نفسي والشيطان والله ورسوله منه براء .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ... ﴾ النساء ٧٩ .

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❁ ❁ ❁

د. نظير محمد محمد عياد

تمهيد

التوحيد في القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام :

عند الرجوع لآيات القرآن الكريم نجد أنه قد أفاض في الحديث علي وحدانية الله تعالى في خلقه ورزقه وإحيائه وإماتته ، كما أفاض في الحديث علي وحدانيته تعالى في العبادة فلا يعبد سواه ، كما نص صراحة على أن التوحيد كان غاية الأنبياء العظمي ، كما كان الركيزة الأولى في دعوة عيسى عليه السلام ، وينص على أن عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل ، فلا يعبد إلا الله ، فالله هو خالق السماء والأرض وما بينهما فلا شريك له هذا هو ما أعلنه المسيح عليه السلام منذ اللحظة الأولى لولادته فلم يشذ عيسي عليه السلام عن القاعدة العامة التي جاء الأنبياء من أجلها. فقد دعا قومه إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة،وكان ذلك أول ما نطق به وهو في المهد .قال تعالى حاكياً عنه ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ... ﴾[1] وفي هذا القول من عيسى إشارة واضحة إلى أن الذات الوحيدة التي تستحق العبادة هي ذات " الله تعالى". وإلا ما اعترف بعبوديته له ، ولما كان البعض قد يتوهم من قول عيسى عليه السلام أن هذا الإله مخصوص به لا لأحد سواه نفي القرآن ذلك وأخبر كما جاء علي لسانه قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [2] .

كما أكد القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام كان دائم القول والتكرار لهذه الحقيقة بين قومه والتذكير بها فقال تعالى ﴿ ... وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [3] .

يذكر الشيخ رشيد رضاعند تفسيره لهذه الآية : أن المسيح عليه السلام أمرهم بالتوحيد الخالص ودعاهم إليه ، وحذر من الوقوع في الشرك ، وتوعدهم عليه ببيان أن الحال والشأن الثابت عند الله تعالى هو أن كل من يشرك بالله شيئا من ملك ، أو بشر، أو كوكب ، أو حجر، أوشجر ، أو غير ذلك ، فإن الله يحرم عليه الجنة في الآخرة ، فلا يكون له مأوى ولا ملجأ يأوي إليه إلا النار [4] .

هذا ويلفت القرآن الكريم النظر إلى تبرؤ المسيح ممن خالفه في دعوته إلى التوحيد ، أو حرفها من بعده ، فاتهم المسيح بغير ما جاء به أودعا الناس إليه. فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ

---

١ – سورة مريم رقم ٣٠ .

٢ – سورة مريم رقم ٣٦ .

٣ – سورة المائدة رقم ٧٢ .

٤ – انظر: تفسير المنار للأستاذ . محمد رشيد رضا ٦جـ صـ ٤٠٠ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط سنة ١٩٧٢

اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

فجواب عيسى ﷺ : ﴿ أن اعْبُدُوا اللّه ربّي وربّكُمْ ﴾ يفيد صراحة أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد ، فغير التوحيد إذن دخل النصرانية من بعده وما كان عيسى إلا رسولا لله رب العالمين (٢) . وفي هذا تأكيد على أن التوجه إلى الله وحده بالعبادة هو الأمر الذي وجهه عيسى إلى قومه .

ولما رأى عيسى ﷺ أنه يحمل دعوة التوحيد في بيئة سيطر الكفرعليها قال لقومه من بنى إسرائيل كما أخبرنا القرآن الكريم : ﴿ ... قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) وهكذا ينص القرآن الكريم على أن عقيدة عيسى ﷺ هي التوحيد الخالص.

وعلى هذا كانت دعوة القرآن لأهل الكتاب إلى التوحيد قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ... ﴾ (٤) .

فالتوحيد هو أساس دين الله تعالى من لدن آدم إلى محمد ﷺ ، والقرآن يقرر هذه الحقيقة .

فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٦) .

يقــول د. رؤوف شــلبي حول هذه الآية "وهي صورة طريفة حقا ، فهناك أبعاد الزمان والمكان بين الرسول ﷺ والرسل الكرام قبله ، ولكن هذه الأبعاد تتلاشى أمام الحقيقة الثابتة ، حقيقة

---

١ - سورة المائدة رقم ١١٦ ــ ١١٧ .

٢ ــ انظر: محاضرات في النصرانية . للإمام محمد أبو زهرة صـــ ١٣. دار الفكر العربي .ط٣،١٢٨١هـــ ١٩٦١م.

٣ - سورة آل عمران رقم ٥٢ .

٤ - سورة أل عمران رقم : ٦٤ .

٥ - سورة الأنبياء : ٢٥ .

٦ - سورة الزخرف رقم ٢٥ .

وحـــدة الرســـالة المرتكـــزة كلها على التوحيد وهي كفيلة حين تبرز أن يتلاشى مع ثبوتها الزمان والمكـــان وســـائر الظواهر المتغيرة ، على أنه بالقياس إلى النبي ﷺ وإخوانه من الرسل الكرام مع ربهم لا يبقى شيء بعيد أو قريب ، فهناك تلك اللحظة التي تزال فيها الحواجز وترتفع فيها السدود وتتجلـــى الحقيقة ، وهي وحدة متصلة بعد أن سقط عنها حاجز الزمان والمكان والشكل والصورة وعـــندئذ يـــسأل الرســـول إخـــوانه الأنبـــياء عليهم السلام : ﴿ أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ...والجـــواب كما سيقوله عيسى عليه السلام يوم يجمع الله الرسل ، يوم القيامة "[1] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ .

وإذا كانت نصوص القرآن الكريم قد بينت ووضحت أن دين الله في جميع الأزمان هو إفراده سبحانه بالربوبية والاستسلام له وحده بالعبودية ، وطاعته لما أمر به ونهي عنه ، وقد ضمنها كتبه التي أنزلها على المصطفين من رسله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ... ﴾ [2].

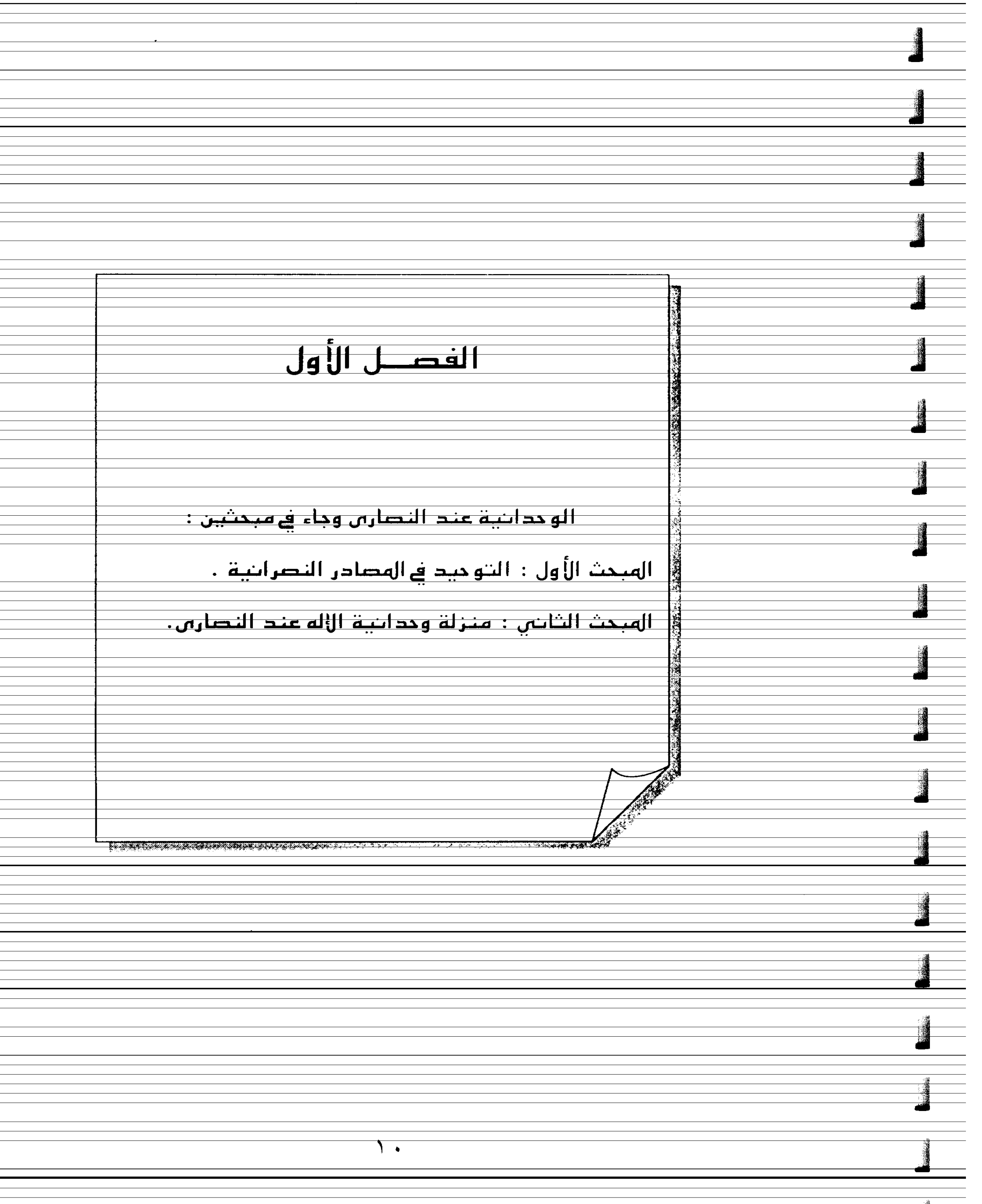
فعيسى عليه السلام واحد من هؤلاء الرسل كانت دعوته إلى الدين الحق دعوته إلى التوحيد الخالص لله تعالى ، والتي دعا إليها قومه في حياته ، وآمن بها الحواريون تلاميذ المسيح ، وأعلنوا ذلك صراحة كما حكى القرآن الكريم عنهم . ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [3]

---

١ – انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د.رءوف شلبي صـــ ٢٥ – ٢٦ ، دار ثابت للنسر والتوزيع .القاهرة.

٢ – سورة الشورى رقم ١٣ .

٣- سورة آل عمران رقم ٥٢ .



الفصـــل الأول

الوحدانية عند النصارى وجاء في مبحثين :

المبحث الأول : التوحيد في المصادر النصرانية .

المبحث الثاني : منزلة وحدانية الإله عند النصارى.

تمهيد :

تعد عقيدة التثليث من أهم العقائد في الديانة النصرانية ، لأنها تميزهم عن سائر الأديان السماوية ، فإذا كانت اليهودية قد اعتقدت بنوة الخلق لله كما اعتقدت تأليه البشر وتجسد الآلهة كالنصرانية تماماً ، فإن النصرانية قد أتت بعقيدة جديدة لم يسمع عنها في تاريخ الوحي السماوي .

وفي بيان أهمية هذه العقيدة ومنزلتها عند النصارى يقول الأستاذ يس منصور : " إن الثالوث الأقدس هو دعامة إيمان المسيحيين وهو في شرعهم وعرفهم أشهر من نار على علم ، وصلتهم به صلة الجسد بالروح وصلة العين بالنور " (١) .

أما القس توفيق جيد فيقول : " إن عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية أهمية وأساسها كلها لأنها تتصل بذات الله حسبما أعلن لنا نفسه في كتابه ، فمعرفتها هي معرفة الله ، والإيمان بها هو الإيمان بالله ، ومن يجهلها يجهل مولاه ، ومن ينكرها ينكر الله .. " (٢) .

فالمتأمل في هذين النصين يدرك دون عناء أهمية هذه العقيدة في الديانة النصرانية فهي أساس العقائد المنحرفة عندهم ، لأنها جمعت ألوهية المسيح -عليه السلام- وألوهية الروح القدس ، ولذلك كانت صلتها بالنسبة لهم كصلة الجسد للروح والنور للعين ، ولا يخفى علينا عمق هذه الصلة ، بل بلغ بهم أنهم جعلوها أساس الإيمان فمن عرفها عرف الله ومن أنكرها أنكر الله .ومع هذا فهذه الديانة في الأصل ديانة موحدة. فدعوة عيسى كانت دعوة خالصة إلى التوحيد.

---

١ ــ الله واحد أم ثالوث . د . محمد مجدي مرجان صــ١٢ . ط .دار النهضة العربية.

٢ــ المصدر نفسه صــ ١٢ .

المبحث الأول: التوحيد في المصادر النصرانية

يعد التوحيد في الديانة النصرانية من أبرز الوصايا والتعاليم التي أولاها المسيح عليه السلام اهتمامًا كبير شأنه كشأن سائر الأنبياء والمرسلين ولا عجب في ذلك ؛ حيث إن الدعوة إلى التوحيد هي الغاية العظمي التي ابتعث الله بها الأنبياء والمرسلين ، ومع هذا فإن النصرانية لم تبق علي التوحيد الذي جاء به عيسى ، وإنما أخذت تنحرف عن خط التوحيد إلى التثليث الذي لا يعلم عيسى عنه شيئاً . ومع أن إنجيل عيسى عليه السلام قد حرف وبدل بأناجيل أخرى إلا أننا نجد في هذه الأناجيل نصوصاً تدل على توحيد الله ﷻ سواء أكان ذلك بالتصريح أم بالتلميح .

فقد جاء في إنجيل متى : " وسأله واحد منهم ... قائلا يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس ، فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هي الوصية الأولى والعظمى " [١] .

ويعلق أحد الباحثين على هذا النص فيذكر أن المسيح يؤكد في ثنايا فقرات الإصحاح المرة تلو الأخرى على عبوديته لله ، وتفرده بالألوهية . وهذه هي الوصية العظمي في الشريعة" [٢] .

وفي متى أيضا " ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جداً وقال له : " أعطيك هذه جميعها أن خررت وسجدت لي " حينئذٍ قال له يسوع: " اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " [٣] .

فهذا النص به إثبات للوحدانية ورفع لمنزلتها يقول الشيخ / عبد الله الترجمان الأندلسى معلقا على هذا النص : فهذا إقرار منه بأنه برئ من الألوهية ولو كان إلها لما اجترأ عليه الشيطان بمثل ذلك القول ، وفي جوابه له اعتراف لله تعالى بأنه هو الإله [٤] .

فالمسيح عليه السلام ينهاهم في هذا النص عن الشرك ، ويعلمهم بأن الله واحد لا شريك له يقول الشيخ عبد الرحمن الباجة : فانظر هداك الله كيف نهاهم عن اتخاذ آلهة على الأرض وأمرهم بالتوحيد ، وبين لهم نفسه وصنعته بأنه معلم لهم ، وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة صلوات الله وسلامه عليه [٥] . بالإضافة إلى هذا فقد حوى هذا النص شواهد متعددة تدل علي وحدانية الله تعالى ، واستحقاقه للعبادة ، وهذا ما حرص عليه المسيح ورغب فيه ، ودعا إليه ، ورفضه لكل ما يخالف ذلك ومنها :

---

١ - إنجيل متى . ٢٢ / ٣٥ : ٣٨ .
٢ - انظر : تفسير إنجيل متى. د نوح الغزالي صـ١٣٦.مطبعة الحسين الإسلامية١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ط١
٣- إنجيل متى . ٤ / ١٠ .
٤ - انظر : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب . عبد الله الترجمانى الأندلسى. تحقيق د. محمود على حماية صـ ١٠٧ ط دار المعارف . القاهرة ط .
٥- انظر : الفارق بين المخلوق والخالق الشيخ عبد الرحمن الباجة . صـ ٣٥٢ ،تصحيح ومراجعة عبد المنعم فرج . ط البيان التجارية الأمارات .١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م

١- رفضه السجود لغير الله تعالى حتى و إن حظى بملك الدنيا.فهو يفضل عليها السجود لله تعالى

٢- في هذا النص ما يؤكد بشرية المسيح وعبوديته لله تعالى . بدليل تعرض الشيطان له ومحاولة إغوائه . وهذا كله مما لا يتفق مع كمال الألوهية .

٣- أن هذا النص قد حوى كثيراً من المتناقضات التي لا تستقيم وكمال الألوهية والتي منها ، تعرض الشيطان لله تعالى ، وعرضه عليه السجود له مقابل ملك العالم ، مع أن العالم كله ملك لله تعالى، ثم يتركه الله دون أن يعاقبه علي كلامه هذا .

٤- أن المسيح ﷺ في هذا النص يشهد بأن الله واحد وأنه لا معبود سواه " الرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ".

وعندما وقعت معجزة شفاء المريض بأمر الله علي يد المسيح ، لم يسبح الناس باسم المسيح كما أنهم لم يمجدوه ، وإنما سبحوا ومجدوا الله تعالى فقد جاء في إنجيل متي ما نصه "حينئذ قال للمفلوج . قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك ،فقام ومضي إلى بيته ، فلما رأي الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطي الناس سلطاناً مثل هذا " [١].

ففي هذا النص شواهد متعددة تدل علي وحدانية الله تعالى منها .

أ / تيقن الناس وقت وقوع المعجزة وحدانية الله تعالى ، وناسوتية المسيح بدليل تمجيدهم الله وحده .

ب / اعتراف المسيح نفسه بأن فعله هذا إنما تم بأمر الله تعالى .

جاء في إنجيل مرقس : " فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل . فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى ... فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ، ومن كل النفس ومن كل القدرة ... فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيدا عن ملكوت الله " [٢] .

فالمسيح يعلن للسائل التوحيد المطلق والمجرد لله سبحانه وتعالي ذلك التوحيد الخالص الذي جاء في أول الوصايا العشر لموسى عليه السلام و ما بينهما من الرسل [٣].

وهكذا يعلن المسيح ﷺ أن الرب سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد لا رب غيره ، ولا إله سواه وهذه هي الوصية الأولى في إنجيل متى ومر قس وكذا في باقي الأناجيل .

فقد جاء في إنجيل لوقا : " وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى وقضى الليل كله في الصلاة مع الله " [٤] .

وجاء فيه أن أحد التلاميذ يسأل المسيح قائلا: " يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية فقال له ما هو مكتوب في الناموس ... تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل

---

١ - متي ٩/٦ : ٨ .
٢ - إنجيل مر قس. ١٢ / ٢٨ : ٣٤ .
٣ - انظر: تفسير إنجيل. مر قس د. نوح الغزالي صـ٩٦.مطبعة الحسين الإسلامية.١٤١٠هـ.١٩٩٠م ط١
٤ - إنجيل لوقا . ٦ / ١٢ .

قدرتك ومن كل فكرك " [1].

إذن محبة الله تعالى التي تقتضي توحيده وتقديسه وعبادته هي الجديرة بأن يحيا صاحبها حياة حقيقية ، سعيدا في الدنيا ومخلدا في نعيم الجنة في الآخرة .

جاء في إنجيل يوحنا " وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي ويسوع الذي أرسلته "[2]. فهذا النص يدل دلالة واضحة علي توحيده تعالى وتأكيده ، ونفي تام للتثليث وبطلانه . وبيان ذلك من كلام المسيح نفسه ، فلم يقل أن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله المكون من الآب ، والابن ، والروح القدس ؛ وإنما قال : إن الحياة الحقيقية هي شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن عيسى رسول الله .

وجاء في إنجيل يوحنا : " كيف تقدرون أذن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه "[3] .

وجاء فيه أيضا قول المسيح عليه السلام " ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ، هذا لم يفعله إبراهيم ، أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له : إننا لم نولد من زنا ، لنا أب واحد وهو الله ، فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قبل الله وأتيت لأني لم آت من نفس بل ذاك أرسلني ..." [4].

فالمسيح عليه السلام يشهد على نفسه أنه رسول من قبل الله تعالى الذي أرسله بالحق لهداية الناس ، فهو عليه السلام لا ينطق في تعاليمه عن هواه ، بل بأمر الله الذي أرسله . فضلاً عن هذا فقد اشتمل هذا النص علي عدة حقائق لا يمكن إنكارها ومنها:

أ- اعتراف المسيح نفسه ببشريته .

ب- بيان أن ما يدعوهم إليه جاء به من الله تعالى لا من عند نفسه ، فقد سمعه من الله الذي أرسله بهذا الحق .

ج- إقرار المسيح بألوهية الله تعالى وحده .

يقول د/ محمد علي زهران : ولا يملك المؤلهون أن يعارضوا حجتنا هذه التي تدل على بشريةالمسيح ، فهو يتحدث عن نفسه بقوله (نفس) بصيغة المتكلم ، وتحدث عن الله بقوله (الذي أرسلني) وفي هذا دليل على أن الرسول غير المرسل ، والمرسل هو الله الذي أرسله ، ولولا أنه أرسله لما أتاهم ولا كان له مقدرة على ذلك ، وهذا كناية عن عجزه ، فكما أنه لم يأت من نفسه لا يملك أن يهدى غيره إلا أن يشاء الله تعالى الذي له الخلق والأمر وليس لعيسى من الأمر

---

١ - إنجيل لوقا. ١٠ / ٢٥ : ٢٧ .
٢ - إنجيل يوحنا . ١٧ / ٣ .
٣ - إنجيل يوحنا . ٥ / ٤٤ .
٤ - إنجيل يوحنا . ٨ / ٤٠ – ٤٣ .

شيء لا ما يخصه ولا ما يخص غيره [1] .

وجاء في سفر أعمال الرسل :" فلما سمعوا رفعوا بنفس واحد صوتا إلى الله وقالوا أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها " [2]

وجاء في رسالة أهل روميه :" أما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهودا له من الناموس والأنبياء ، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون ... لأن الله واحد "[3]

وجاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية " وأما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد " [4]

وجاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس : " أوصيتك أمام الله الذي يحيى الكل ... أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذي سيبينه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت ساكنا في نور لا يدنى منه الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية "[5]

وفي رسالة يعقوب " أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل " [6] .

هذه بعض النصوص التي وردت في المصادر المتعددة للنصرانية ، وهي كما نري أكدت علي وحدانية الله تعالى ؛ بل إن بعضاً منها أكد علي أن الحياة الأبدية لا تكون إلا لعبادة الله الواحد. وهذه النصوص التي عرض البحث لها قليل من كثير مما حواه العهد الجديد من دلائل علي وحدانية الله سبحانه وتعالى ، وأنه الخالق البارئ المتفرد بالطاعة والعبادة والجديربالتقديس والخضوع ، وهذا إن دل فإنما يدل على أن عقيدة التثليث دخيلة على الإنجيل الصحيح الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام .

---

١ – انظر: إنجيل يوحنا في الميزان د. محمد على زهران تقديم أ.د. سعد الدين صالح صـ ٤٦٩ ط دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ط١ سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

٢ – سفر أعمال الرسل . ٤ / ٢٤ .

٣ – رسالة بولس إلى أهل روميه . ٣ / ٢١ : ٣٠

٤ – رسالة بولس إلى أهل غلاطية . ٣ / ٢٠

٥ – رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس. ٦ / ١٣ : ١٦ .

٦ – رسالة يعقوب . ٢ / ١٩ .

المبحث الثاني : منزلة وحدانية الإله عند النصارى

من المعلوم أن الوحدانية هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما أنها الأساس لكل دين من الأديان فهي عماد كل رسالة إلهية . وبما أن الوحدانية هي الفطرة والعماد والأساس لكل دين من الأديان ذهب النصارى إلى القول بأن رسالتهم رسالة توحيدية وأن دينهم دين توحيد .وأنزلوا الوحدانية أعظم المنازل في كتبهم المقدسة حتى إنهم جعلوها أول ما يبدأ به قانون الإيمان المسيحي . فأول ما يطالعنا به هذا القانون نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل خالق الأشياء ما يري ومالا يري ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد [١] .

يقــول د/ فايز فارس : " يؤمن المسيحيون بإله واحد ، ولسنا نريد هنا أن نبرهن على وجود الله ووحدانيته ، فهذه حقيقة أولية عند كل المؤمنين " [٢].

ويذهب إلى مثل هذا القس إلياس مقار حيث يذكر أن الإيمان بوحدانية الله أساس العقيدة المـــسيحية وقاعدتها ، وقد جاء هذا الإيمان إلى المسيحية – كما هو معلوم – من الديانة اليهودية التـــي اعتنقـــته وتمـــسكت بـــه وأصرت عليه في عالم امتلأ وقتئذ بما لا يعد أو يحصى من الآلهة المخـــتلفة ، وأحـــسب أنـــه لا حاجة لنا إلى التوسع في الدليل أو الاستشهاد إذ أن صفحات الكتاب المقـــدس والـــتاريخ الـــيهودي والمسيحي تشهد كلها على ذلك بما لا يدع مجالا للبحث أو النقاش ،ويكفى أن نلمح ونشير إلى بعضها على سبيل القياس لا الحصر" ثم عدد بضاً من النصوص التي تدل علي وحدانية الله تعالى ثم قال : كما أن جميع قوانين الإيمان المسيحي صدرت بعبارات تصرح أو تشير إلى هذه الحقيقة ، فالقانون النيقوى الصادر في عام ٣٢٥ م يبدأ بالقول " نؤمن بإله واحد" والقانون النيقوى القسطنطيني الصادر عام ٣٨١ م يقول كذلك " نؤمن بإله واحد " والقانون الذي تقـــبله الآن جميع الكنائس الإنجيلية والتقليدية يقول أيضا " أؤمن بإله واحد " وكذلك سائر القوانين الأخرى ... القديمة والحديثة كل هذه القوانين تؤكد وتفصح أن الإيمان بالوحدانية لم يكن العقيدة المـــسيحية العامـــة التي يلتف حولها المسيحيون جميعا ، بل العقيدة الأساسية التي تشاد عليها وتبنى سائر معتقداتهم الأخرى [٣] .وعلي هذا فعقيدة وحدانية الإله عند النصارى واضحة لا تحتاج إلى دليل فهي كما يقول أحدهم : " ظاهرة في الكتاب المقدس في وضوح لا غموض فيه" [٤] .

ولهذا جاء في قاموس الكتاب المقدس : " إن الله في العهد القديم كان يطلق عليه الإله الحي تمييزا له عن آلهة الوثنيين الباطلة ، والاعتقاد بأن الله واحد بين جدا في الديانة اليهودية كما أنه بين جدا في الديانة المسيحية " [٥].

---

١ – انظر: الثالوث الحياة النور الحب د.الأنبا يوحنا قلته صـــ ٨٨ . دار الثقافة القاهرة . ط١ .١٩٩٧م.

٢ – انظر : حقائق أساسية في الإيمان المسيحي . د . فايز فارس صـــ ٥٢ ط دار الثقافة . القاهرة ٠

٣ – انظر: القضايا المسيحية الكبرى : القس / إلياس مقار ص ٥٦ ــ ٥٧ ٠

٤ – انظر : هل المسيح هو الله؟ د. القس لبيب ميخائيل .صـــ ٥١ . ط لوجوس برنت سنتر .ط٥ . ١٩٩٤ م.

٥ – انظر: قاموس الكتاب المقدس صـــ ١٠٨ .

ويتحدث عوض سمعان فيؤكد علي أن وحدانية الله تعالى وحدانية مطلقة لا تركب فيها فيقول في فاتحة كتابه (الله ذاته ونوع وحدانيته) : نرى من الواجب ونحن في فاتحة هذا الكتاب أن نبرهن على أننا نحن المسيحيين نؤمن أن لا إله إلا الله وأنه لا تركيب فيه على الإطلاق ، فقد قال أنا الأول ، وأنا الأخر ولا إله غيري [1]. ... ثم شرع في ذكر بعض النصوص الأخرى الدالة علي وحانية الله تعالى من الكتاب المقدس بعهديه ... ثم قال : أما عن حقيقة عدم وجود تركيب في الله فإن الكتاب المقدس لم ينبر عليها كما نبر على حقيقة وحدانيته ، وذلك لعدم ظهور الخلاف بين الناس من جهتها ، إلا أنه وردت به آيات تدل بوضوح على أن الله لا تركيب فيه ، فقد قال " إن الله روح "[2] وإنه " غير منظور "[3] وإنه " لا يتحيز بحيز " [4] وهذه الصفات تدل على أنه غير مركب لأن المركب متحيز بحيز ، ومن الممكن أن يدرك أو يرى ، إذ إنه محدود بحدود الأجزاء المركب منها ، هذا وقد أجمعت كل الكتب الدينية على اختلاف مذاهب كتابها ، على أنه روح سرمدي غير مركب أو محدود أو متغير [5] .

ويتحدث أشرف وليم روفائيل عن اعتقاد بني جنسه فيقول : " فنحن النصارى نعتقد أن الله واحد ذو ثلاثة أقانيم، أوصفات وهم الآب ، والابن ، والروح القدس ، وهذه الأقانيم ليست ثلاثة آلهة ؛ بل ثلاثة خواص ذاتية في الإله الواحد ،لان جوهرها واحد هو جوهر اللاهوت" [6] .

ويقول القس/ سامي حنا : " يظن البعض أن المسيحية تنادى بعقيدة تعدد الآلهة أو يظن البعض أن المسيحيين يؤمنون بثلاثة آلهة هم الأب والابن والروح القدس وأن في هذا إشراك بالله ، والحقيقة أن المسيحية تنادى بالإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له ولا إله إلا هو وحده وأن من يظن غير ذلك لا يفهم أساس الإيمان المسيحي " [7] .وكل هذا يؤكد علي أن الوحدانية هي أصل الديانة المسيحية .وهذا ما يؤكده حبيب سعيد عندما يتحدث عن اليهود الذين دخلوا المسيحية فيقول " وكان المسيحيون الأوائل يهودا تشبثوا كل التشبث بعقيدة وحدانية الله " [8].

ولعل تشبث المسيحيين الأوائل بالوحدانية لله تعالى هو الذي أدي بهم ودفعهم إلى رفض

---

١ – أشعياء ٦/٤٤ .

٢ – إنجيل يوحنا . ٤ / ٢٤ .

٣ – رسالة بولس إلى كولوس . ١ / ١٥ .

٤ – سفر المزامير . ١٣٩ / ٨ : ١٢ .

٥ – انظر:الله في المسيحية . الله ذاته ونوع وحدانيته : عوض سمعان صـ ١٢٥ ط المكتبة الإنجيلية بقصر الدوبارة القاهرة .

٦ – التوحيد والتثليث .أشرف وليم صـ٢٤.ط المحبة القاهرة ١٩٩١م.

٧ – انظر: إله المسيحية الله واحد أم ثالوث. القس . سامي حنا غبريال صـ ٣ الكتاب الثاني من سلسلة الإيمان المسيحي إصدار جمعية الخدمة المسيحية العملية : المنيا ١٩٨٨ م.

٨ – أديان العالم صـ ٢٩٨. دار التأليف والنشر للمكتبة الأسقفية . القاهرة .

إقامة أي شعيرة لغير الله تعالى حتى وإن أدي بهم هذا الرفض إلى القتل علي نحو ما يذكر صاحب المسيحية نشأتها وتطورها فيقول : " غير أن رفض المسيحيين إقامة الشعائر باسم ألوهية الإمبراطور وامتناعهم عن تمجيد صورته بإحراق البخور أمامها أديا إلى اتهامهم بالتآمر عليه ، وهو اتهام كان الحكم فيه إذا ثبت القتل ؛ لذلك نقرأ عن بعض الشهداء خلال القرن الثاني وخاصة في آسيا الصغرى في عهد "ترجان " ، وفي مدينة " ليون " تحت حكم مارك أوربل عام ١٧٦ "[١].

فالديانة المسيحية ديانة موحدة وصفت الله بكل صفات الجلال والكمال ونزهته عن كل نقص وكان من أهم ما ركزت علي إثبات وحدانية الله تعالى .وهذا التوحيد الخالص اهتدي إليه الكثيرون من المسيحيين سواء في ذلك العباقرة أو العاديين ، الفلاسفة أو رجال الدين ، هؤلاء عرفوا التوحيد الحق ، ودفعوا عنه وأعلنوه علي الملأ من غير خوف أو وجل ، أعلنوه في كل زمان ومكان ، وفي كل حال ومكان ، حتى في حصون المشبهين ، وهياكل المثلثين ، ومنازل الوثنيين ولاقوا في سبيله البأساء والضراء ، والأخطار والأهوال وما ترجعوا [٢].

وبعد فقد اتضح لنا أن قساوسة النصارى يقولون بالتوحيد الذي قال به الكتاب المقدس ولكن هذا التوحيد ليس توحيدا مطلقا بل توحيدا له مفهوم خاص لديهم وسوف يتضح هذا المفهوم عند الحديث عن عقيدة التثليث عند النصارى .

---

١ – المسيحية نشأتها وتطورها صـ ٢١٤ . ط دار المعارف

٢ – انظر: الله واحد أم ثالوث . د محمد مجدي مرجان صـ ١٣٩ .

الفصل الثاني

التثليث مفهومه ومصدره

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

التمهيد وفيه : معني كلمة تثليث كما جاءت في معاجم اللغة .وكتب النصارى .

المبحث الأول : التثليث عند المصريين القدماء .

المبحث الثاني : التثليث عند الهنود .

المبحث الثالث : التثليث عند البوذيين و البابليين .

المبحث الرابع : التثليث في الفكر اليوناني .

١/معنى كلمة تثليث في اللغة :

كلمة تثليث ليست كلمة عربية الأصل فهي مترجمة عن الكلمة اليونانية (ترياس) أو اللاتينية (ترنيتس) ومعناها الثالوث إلا أنه لا مانع من أن نستأنس بمعاجم اللغة العربية لنتعرف علي ما يقابلها في اللغة العربية وهي كلمة (ثالوث ،أو تثليث [١] .

فقد جاء في القاموس المحيط (ثلث) سهم من ثلاثة والتثليث [٢].

وجاء في معجم مقاييس اللغة (ثلث)الثاء واللام والثاء كلمة واحدة يقال اثنان وثلاثة والثلاثاء من الأيام، والثلوث من الإبل تملأ ثلاثة آنية إذا حلبت [٣] .

وهكذا نلاحظ أن مادة ة ثلث بجميع إشتقاقاتها تشير إلى التعدد والكثرة.

يقول د/ محمد أبو الغيط الفرت : إن مادة ثلث وتثليث ومثلث ومثلوث كلها تدل إما على تعدد الشيء ذاته أو نسبته إلى ثلاثة أشياء ، أو أنه ذو ثلاثة أبعاد ، ولم توحي هذه المادة علي أنها تشير أو تفيد معنى التوحد في ذات الشيء الدالة عليه ، بمعنى عدم تجزئته أو انقسامه ، وإنما كل ما دارت فيه هذه المادة يدل على تأليف الشيء وتعدد أجزائه [٤].

٢/ معنى كلمة تثليث في الفكر النصراني :

كلمة تثليث تستخدم عند النصارى للتعبير عن عقيدتهم في الله ، ويؤكد ذلك ما جاء في قاموس الكتاب المقدس حيث ذكر أن كلمة التثليث في الفكر المسيحي هي الكلمة المعبرة عن عقيدة المسيحيين في الله سبحانه وتعالى ، وقد عرف قانون الإيمان هذه العقيدة بالقول : نؤمن بإله واحد الآب ، والابن ، والروح القدس ، إله واحد جوهر واحد متساوين في القدرة والمجد في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص أزلية يعلنها الكتاب في صورة شخصيات " أقانيم " [٥] متساوية [٦] .

يقول إبراهيم لوقا : " فإذا تجلي الله بوصفه ذاتاً فهو ألآب ،وإذا تجلي بوصفه نطقاً فهو الابن ، وإذا تجلي بوصفه حياة فهو الروح القدس" [٧] .

---

١ – انظر :تأثر المسيحية بالأديان الوضعية د. أحمد عجيبةجـ٢ صـ٤٦٦ نشر مكتبة الأزهر الحديثة ط ١ .١٩٩٢ .

٢ – انظر :القاموس المحيط الفيروزبادي صـ٢١٢.مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٠٧هـ١٩٨٧

٣ – انظر: معجم مقاييس اللغة جـ١صـ٣٨٥ تحقيق عبد السلام هارون .دار الجيل .

٤ – أنظر: عقيدتنا التثليث والصلب في المسيحية وموقف الإسلام منها د/محمد أبو الغيط الفرت صـ ٣ رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بالقاهرة .

٥ – كلمة أقنوم كما جاءت في المعجم الوجيز صـ٢٠ : الجوهر ، والشخص ، والأصل ، وقيل لفظ أقنوم المستعمل في العربية كلمة سريانية معناها شخص أساسي ، أو شخص رئيسي ، وفضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ شخص ، لأن المقصود في التثليث بالأقنوم كيان ذاتي(أقانيم النصارى د أحمد السقا صـ ٩ ط.دار الأنصار القاهرة ط١ .١٣٩٧هـ ١٩٧٧ م) .

٦ – انظر: قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٣٢.

٧– المسيحية في الإسلام إبراهيم لوقا . صـ٧٣ دار النشر القبطية ط٣ القاهرة .

كل هذا يؤكد أن مضمون عقيدة التثليث كما جاءت عند النصارى هي عبارة عن الإيمان بثلاثة أقانيم ويسمونها الآب و هو الأقنوم الأول وهو والد الأقنوم الثاني ، الابن وهو الأقنوم الثاني وهو ولد الأقنوم الأول ، وهو المخلص من الخطيئة فقد صلب تكفيرا عن خطيئة أبيه آدم علي حد زعمهم ، الروح القدس وهو الأقنوم الثالث ، الذي تولد عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية ، ويقولون إن هذه الثلاثة أقنوم واحد .

والذي ينظر إلى هذه العقيدة يدرك لأول وهلة الغموض الذي يحيط بها فهذه العقيدة يكتنفها كثير من الغموض يصعب إزالته بأي حال من الأحوال إذ كيف تكون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة؟ ولعل هذا هو سر الثالوث المقدس .

وقبل الدخول في تفصيلات هذه العقيدة ونقدها أري من الأولي بيان مصدر هذه العقيدة ، وكيف تسربت وشقت طريقها إلى النصرانية ؟ فأقول وبالله التوفيق :

لقد كانت فكرة التثليث ذات جذور عميقة تمتد إلى فلسفات الأمم القديمة ، فلقد عرفها الوثنيون وجعلوها معتقداً سائداً عندهم قبل ميلاد المسيح بقرون عديدة . كما أن المتتبع لهذه العقيدة في الديانات القديمة يرى أنها قد احتلت في كل هذه الديانات مكان الصدارة يقول بر تشرد في كتابه خرافات المصريين الوثنيين :" لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي الأب والابن والروح القدس " [١] .

و يذكر المهندس أحمد عبد الوهاب أن فكرة التثليث كانت معتقدا دينيا شائعا تنبع أساسًا مما تعارفوا عليه من أن العدد ثلاثة كان هو العدد الكامل ، وقد كان التثليث هو السمة البارزة في ديانة إيزيس التي اكتسحت الإمبراطورية الرومانية وكانت هي الديانة الوثنية التي أصبحت عالمية إلى أن احتلت المسيحية مكانها [٢].

ويقول د . أحمد شلبي : " يمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال، تلك العبادة التي بدأت منذ فجر التاريخ والتي لا يزال لها بقايا في عالمنا الحاضر ، وارتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه أن الجماهير كانت تعبد البطل لعمل رائع يقوم به ، ثم يتخذ البطل له زوجه فتحتل معه مكان الألوهية ، وتسجد لها الجماهير ، وينجب الزوجان ، ثم يعين البطل أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد ، فتسجد له الجماهير أيضاً ، ويتم بذلك الثالوث ، تلك هي الفكرة الأولى للتثليث ، ثم انطلق التثليث فلم يعد يتقيد بهذه الفكرة ، وأصبح الثالوث معبوداً معروفاً لكثير من الأمم " [٣] .

والنصرانية إحدى الديانات التي تأثرت بالديانات القديمة في عقائدها ومن بينها عقيدة التثليث

١- العقائد الوثنية. محمد طاهر التنير صـ ٣٠ بدون .

٢- انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر .مهندس أحمد عبد الوهاب صـ٧٩ : ٨٣

٣- المسيحية . د . أحمد شلبي صـ ١٣٥ .

يقول ول ديورانت : " نشأت المسيحية من الإيحاء الغامض العجيب الخاص بحلول الملكوت ، واستمدت قوتها من عقيدة البعث والحساب ، والوعد بحياة الخلود ، واتخذت صورة العقائد الثابتة في لاهوت بولس ، ثم نمت باستيعابها العقائد والطقوس الوثنية "[١] .

وفي الصفحات التالية نعرض بصورة موجزة لفكرة الثالوث عند الأمم القديمة كالمصريين، والهنود، والبوذيين، والبابليين، والفرس، واليونان، لكي نقف علي المصادر التي تأثرت بها الديانة النصرانية في عقيدة التثليث واستمدت منها عناصره .

المبحث الأول : التثليث عند المصريين القدماء

يذكر التاريخ أن التثليث كان أحد العقائد الموجودة عند المصريين القدماء ، و تدل الرموز التي خلفوها من ورائهم على مشابهة تامة للثالوث المسيحي سواء في عدد الأقانيم ، أو في خاصية كل أقنوم منها .يقول أحد الباحثين:" المصريون القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم مصوراً في أقدم هياكلهم ،ويظن أهل العلم أن الرمز الذي يصورونه وهو جناح ، ووكر ، وأفعى إن هو إلا إشارة عن ذلك الثالوث واختلاف صفاته " [٢] .

هذا الثالوث المصري القديم كان علي اعتبار أن الثلاثة ذو طبيعة واحدة ، إلا أن المصريين القدماء لم يعتقدوا في ثالوث واحد وإنما كان لكل مدينة ثالوثها الخاص بها. [٣] .

ولكن كان أهم هذه الثواليث ثالوث طيبة ،وثالوث أبيدوس ، والثالوث الفرعوني وكان يتكون كل ثالوث من ثلاثة أقانيم ونوضح ذلك علي النحو التالي :

أ/ ثالوث طيبة :

وهو يتكون من آمون (أب) ، وموت(الام) ، حنسو (الابن). وكل واحد منهم إله .

ب/ ثالوث أبيدوس :

أما عن ثالوث أبيدوس أو العربة المدفونة . فهو الثالوث الذي يتكون فيه الإله أوزوريس (الأب) ،وإيزيس (الأم)، وحورس (الابن)، وهو أشهر ثالوث على الإطلاق فقد اكتسب شهرة واسعة في عهد الإمبراطورية الرومانية فغزتها جميعها لا في الأقطار المصرية وحدها ؛ بل في معظم بلاد العالم آنذاك ، وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة إلا أنهم يعملون معا [٤].

جـ/ الثالوث الفرعوني : ويتكون الثالوث الفرعوني من ثلاثة آلهة أو أقانيم إلهية وهى :

١- قصة الحضارة قيصر والمسيح ، ترجمة محمد بدران جـ ١١صـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ٢٠٠١م .

٢- التثليث بين الوثنية والمسيحية. د محمود حماية صـ ٧٦ . دار النهضة العربية القاهرة ١٤١٠هـ ـ١٩٩٠م.

٣- انظر: الشرق الأدنى القديم د. عبد العزيز صالح ٣٣٢ .الأنجلو المصرية . ط٤ .١٩٨٤ م.

٤- انظر: دراسات في النصرانية د.مزروعة صـ١٠٦،انظر: الدين والفلسفة والعلم صـ ٦٨ـ٦٩ . دار الكتب الحديثة شجرة الحضارة د . رالف لنتون جـ ٣ صـ ٣٩ . ترجمة أحمد فخري ، مكتبة الأنجلو المصرية . تاريخ العلم .جورج سارتون. ترجمة محمد خاف الله وآخرون جـ ١ صـ ٢٦٨ وما بعدها .دار المعارف ، تاريخ مصر في عهد البطالمة .د. إبراهيم نصحي جـ ٢ صـ ١٩٧.الأنجلو المصرية ط ٥ -١٩٨٠م ، مصر والإمبراطورية الرومانية د. عبد اللطيف أحمد على صـ ١٤٨ دار النهضة المصرية ١٩٧٢م .

١ – الإله أو سيرى (ويسمى الأب أو الواحد)
٢ – الإله هور (ويسمى الابن أو المنطق أو الكلمة) .
٣ – الإله آيس (وتسمى الأم أو الوالدة) .

أما عن الأول : فهو الإله الأكبر العظيم علة ولادة الثاني ، وخالق كل المخلوقات وحاكم الأزلية ورب الأرباب .

والثاني : هو ابن الإله أو سيرى ، وهو النور والشمس المشرقة وهو إله النطق والكلام ولذا صوروه رافعاً إصبعه إلى فمه ، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم .

والثالث : وهى ملكة السماء وأم الأقنوم الثاني ، وقد رمزوا لها بصورة طائر جميل يشبه العصفور وعلى رأسه صولجان رسموا بجانبه علامة الحياة ، يشيرون لذلك أن الإله آيس هي باعثة الحياة للبشر " [1] ومما يدل على العلاقة بين اعتقاد المصريين القدماء وبين النصارى في قولهم بالثالوث . ما ذكره العلامة دوان : " وكان قسيسو هكيل ممفيس مصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم إن الأول خلق الثاني ، والثاني مع الأول خلقا الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس" [2] .

وسأل " توليسو " ملك مصر الكاهن " تنيشوكى " أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه أوصل يكون بعده من هو أعظم فقال له الكاهن : نعم يوجد من هو أعظم فقال له الكاهن : " نعم يوجد من هو أعظم وهو أولاً الله .. ثم الكلمة ومعها روح القدس ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحد بالذات ، وعنهم صدرت القوة الأبدية .. " [3] .

ومما يدل أيضاً على عمق الصلة بين العقيدة المصرية القديمة والعقيدة النصرانية ما ذكره العلامة بونويك فقال : " وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين الوثنيين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة وأن كل شيء صار بواسطتها وأنها " أي الكلمة " منبثقة من الله وأنها الله ، وكان " بلاتو " عارفاً بهذه العقيدة الوثنية وكذلك أرستو وغيرهما وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام" [4] .

يقول ول ديورانت : إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها.... ثم يقول فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ،وأبدية الثواب والعقاب ، وخلود الإنسان في هذا أو ذاك ،ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمي ... وقصارى القول أن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم

---

١ – الله واحد أم ثالوث. محمد مجدي مرجان صـ٧٩ ــ ٨٠.
٢ – العقائد الوثنية في الديانة النصرانية صـ ٤٠.
٣ – السابق صـ ٤٠. "
٤ – العقائد الوثنية في الديانة النصرانية صـ٤١.

الوثني القديم[١] . وعلي هذا فإن وجود التماثل والتطابق التام بين الثالوث المسيحي ، والثالوث الفرعوني يؤكد بأن الثالوث المسيحي مأخوذ عن الثالوث الفرعوني . فقد جاء في كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس "الكلمة " هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالديانة المسيحية [٢] .

ويذكر الدكتور .محمد مجدي مرجان :أن الروح القدس عند المصريين القدماء كان مصدر حياة البشر طبقا لعقيدة أصحاب الثالوث ... وهذا أيضا يشابه قانون الإيمان المسيحي الذي ينص على أن الإله قد تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء[٣] . كل ذلك يؤكد عمق الصلة بين التثليث في العقيدة المصرية الوثنية وبين النصارى .

ومن هنا يتضح أن عبادة إيزيس وأوزوريس قد انتشرت في أنحاء متفرقة من العالم ، وأدي هذا الانتشار إلى تأثر الديانة المسيحية بالديانة المصرية القديمة وهذا ظاهر جدًا عند المقارنة بين ثالوث المصريين المقدس الأب أوزوريس – الأم إيزيس – والابن حورس " وبين الثالوث المقدس في المسيحية : الآب – والابن – والروح القدس .

بل إن مما يدل على مدى تأثر المسيحية بالديانة المصرية القديمة أن المسيحيين الأولين كانوا أحيانًا يصلون أمام تمثال إيزيس الذي يصورها وهي ترضع طفلها حورس ، وكانوا يرون فيها صورة أخرى للأسطورة القديمة أسطورة المرآة الخالق لكل شيء والتي تصبح أخر الأمر أم الإله [٤].

١- انظر: قصة الحضارة م٦ جـ ١١ صـ٢٧٥ ـ٢٧٦.

٢- انظر : العقائد الوثنية للأستاذ . محمد طاهر التنير صـ٦١.

٣- انظر: الله واحد أم ثالوث صـ٨٠ ـ ٨١.

٤ - انظر: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ١٦٠ .

المبحث الثاني: التثليث عند الهنود

يعد التثليث من أهم وأعظم وأشهر عقائدهم ، فلقد اعتقدوا في ثلاثة آله أو ثلاثة أقانيم وهم : " برهما ، وفشنو ، وسيفا ، ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة وهى الرب والمخلص وسيفا ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهى الألف ،و الواو، و الميم ، ويلفظونها "أوم" ولا ينطقون بها إلا في صلاتهم ويحترمون رمزها في معابدهم احتراماً عظيماً ، ولما أراد برهما خالق الوجود الذي لا شكل له ولا تؤثر فيه الصفات أن يخلق الخلق فاتخذ صفة الفعل وصار شخصاً ذكراً وهو برهما الخالق ثم زاد في العمل فانقلب إلى الصفة الثانية من الوجود فكان فشنو الحافظ ، ثم انقلب إلى الصفة الثالثة الظلالية فكان سيفا المهلك ،ويدعون هذه الصفات الثلاثة أيضاً "تري مورتي" أي الأقانيم الثلاثة " [١] .

ولو قارنا بين هذا الاعتقاد في الديانة الهندية وبين الاعتقاد في الديانة النصرانية لوجدنا الشبه قريب جداً لدرجة تجعل القارىء ينتهي دون عناء إلى أن ما يعتقده الهنود هو عين ما يعتقده النصارى .جاء في قانون الإيمان عند النصارى : " نؤمن بإله واحد الأب ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يُرى وما لا يُرى ، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس ، وصلب عنا وتألم وقبر...ونؤمن بالروح القدس المحي ، المنبثق من الأب ، المسجود له مع الأب والابن ، الناطق في الأنبياء ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا " [٢].

كـذلك يقرر الأستاذ " مالفير " وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث المسيحي فيقول : " نؤمن بسافترى أي الشمس ، إله واحد ، ضابط الكل ، خالق السماوات والأرض وبابنه الوحيد "آني" أي النار ، نور من نور مولود عير مخلوق ، تجسد من فايو ، أي الروح في بطن مايا العذراء ، ونؤمن بفايو الروح المحي المنبثق من الأب ، والابن الذي هو مع الأب ، والابن يسجد له ويمجد " [٣].وإذا كان النصارى يعتقدون بأن الأقانيم الثلاثة متحدة في الجوهر والفعل والامتزاج فــإن هــذا مــا يقرره الثالوث المقدس في الديانة الهندية." فقد جاء في كتب البرهميين المقدسة المعتبــرة لــديهم أن هذا الثالوث المقدس غير منقسم في الجوهر والفعل والامتزاج ، ويوضحونه بقــولهم برهما الممثل لمبادئ التكوين والخلق ،ولا يزال خلاقاً إلهياً هو الأب ، وفشنو يمثل مبادئ الحمايــة والحفــظ وهــو " الابن " المنفك والمنقلب عن الحال اللاهوتية ، وسيفا المبادئ والمهلك والمبــيد والمعــيد وهو روح القدس) ويدعونه "كرشنا" الرب المخلص والروح العظيم حافظ العالم المنبثق (أي المتولد منه) فشنو الإله الذي ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس ، فهو أحد الأقانيم الثلاثة التي هي الإله الواحد " [٤]

١- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية.محمد طاهر التنير صــ ٣٢.
٢- أقانيم النصارى . د . أحمد حجازي السقا صــ ٥٩ دار الأنصار.ط١ . ١٣٩٧ هـ. ١٩٧٧م .
٣- الله واحد أم ثالوث ، محمد مجدي مرجان صــ٨١ .
٤- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية صــ ٣٣ .

المبحث الثالث : التثليث عند البوذيين و البابليين

تذكر كتب التاريخ أن البوذيين عرفوا التثليث عندما انحرفوا عن تعاليم معلمهم فألهوه ، ثم جعلوه ثلاثة أقانيم معتقدين أن هذا الثالوث هو الذي خلق الكل ، وصدر عنه كل الأشياء. يقول الأستاذ التنير نقلا عن السيد فابر : وكما نجد عند الهنود ثالوثا مؤلفا من برهما وفشنو وسيفا ، نجد ذلك عند البوذيين ، فإنهم يقولون :إن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة[1].

فهم يعتقدون " أن أصل كل شيء واحد ،وهذا الواحد الذي هو أصل الوجود اضطر إلى إيجاد ثان ،والأول والثاني انبثق منها ثالث ، ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء " [2] .

ويقول أيضاً نقلاً عن العلامة داون :البوذيون هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلها مثلث الأقانيم يسمونه "فو" ومتى ورد ذكر هذا الثالوث المقدس يقولون "الثالوث النقي فو" ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند ،ويقولون أيضا "فو" واحد ولكنه ذو ثلاثة أشكال[3].

ولو قارنا بين هذا الاعتقاد في الديانة الهندية وبين الاعتقاد في الديانة النصرانية لوجدنا الشبه قريب ، خصوصاً وأن عقيدة البوذيين في بوذا بصفة عامة هي نفس عقيدة النصارى في عيسى ﷺ " حتى إن البوذيين ليطلقون علي بوذا لقب المسيح ، المولود الوحيد ، مخلص العالم ، ويقولون : إنه إنسان كامل .وإله كامل تجسد بالنا سوت .وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب للبشر ،ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبون عليها ، ويجعلهم وارثين لملكوت السماوات " [4]

هذا وقد عقد كل من الدكتور أحمد شلبي و الأستاذ محمد طاهر تنير مقارنة بين أقوال الوثنيين في بوذا وبين ما يقوله النصارى في يسوع المسيح وهذه المقارنة تؤكد عمق العلاقة بينهما والأثر الواضح للبوذيين علي النصارى[5] .

هذا ولم يقف تأثر النصارى عند هذا الحد فقد تأثروا بشعوب أخري كالبابليين. فقد اعتقد البابليون في التثليث ودانوا بتعدد الآلهة ،ولكنهم نظموا هذه الآلهة أثلاثا أي جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر كل مجموعة ثلاثة فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة وتتكون هذه المجموعة من إله السماء ، فإله الأرض ، فإله البحر.

هذا بالإضافة إلى مجموعة أخرى تسمى بمجموعة الثالوث الثانية وتتكون من إله القمر ، وإله الشمس ، وإله العدالة والتشريع [6].

وهكذا نجد العلاقة وثيقة بين اعتقاد البوذيين والبابليين في هذا الثالوث ، وكل هذا وغيره يؤكد مدى تأثر الديانة النصرانية بهذه الديانات الوثنية القديمة سواء أكانت هندية أو بوذية أو غيرها .

---

١ - انظر: العقائد الوثنية صـ٣٥.

٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية صـ ٣٧ .

٣ - المرجع السابق صـ٣٦.

٤ - دراسات في النصرانية. د. محمود مزروعة صـ١٠٧ـ ١٠٨.

٥ - انظر المسيحية د أحمد شلبي صـ١٨٥ـ ١٨٤، العقائد الوثنية أ .محمد طاهر التنير صـ١٩٦ وما بعدها.

٦ - انظر: المسيحية د.أحمد شلبي صـ١٣٦.

المبحث الرابع : التثليث في الفكر اليوناني

أما عن التثليث عند اليونان فيقول أ / محمد طاهر التنير : كان اليونانيون القدماء الوثنيون يقولون :إن الإله مثلث الأقانيم وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات،إشارة إلى الثالوث ، ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات ، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثة أصابع ، ويعتقدون أن الحكماء قد صرحوا أن الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة ، ولهم اعتناء تام بهذا العدد ــ أي"التثليث ــ في كافة أحوالهم الدينية [١].

ويذكر "دوان " نقلا عن "أورفيوس" وهو أحد كتاب اليونان وشعرائهم الذين كانوا قبل المسيح بعدة قرون ما نصه "كل الأشياء عملها الإله الواحد مثلث الأسماء الأقانيم"[٢].

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نقرر أن عقيدة التثليث قد وجدت قبل المسيح ﷺ بأزمان عديدة وأخذتها من عناصر متعددة وبيئات مختلفة وكان من بينها الفكر اليوناني.

يقول د. على عبد الواحد وافي : و يظهر أن هذه العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، ذلك أن أفلوطين زعيم هذه المدرسة كان يرى أن الله هو منشىء الأشياء ، وأن أول شيء صدر عنه هو العقل ، ومن العقل انبثق الروح ، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء [٣].

ويقول د. البهي : الأقانيم جمع أقنوم بمعنى الأصل والمبدأ وهى الوجود والعلم والحياة ،وتسمية هذه الأمور بالأقانيم أو الأصول يرجع إلى أثر الفلسفة الإغريقية في تفلسف المسيحية. وتحديدها بثلاثة يرجع إلى المصدر نفسه أيضا لأن ما نراه هنا في المسيحية على هذا الوجه يذكرنا بـــ "مثل" أفلاطون" فقد جعلها أصول هذا الوجود المشاهد واعتبر الوجود ظلا لها وشبيها بها فقط ،كما يذكرنا بثالوث أفلوطين المصري الذي يتمثل في الواحد والعقل والنفس العالم ... ولو فتشنا عن الألفاظ الدالة على هذه المعاني الثلاثة في المصدر النصي للمسيحية وجدناها : الله ، كلمة الله ، الروح القدس[٤].

فوجه الشبه واضح بين هذا المذهب من جهة ، وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى ، وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشرا ومعروفا قبل مجمع نيقية بأمد طويل ،وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية ،وأن بطريرك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي المجمع القسطنطينى الأول كما تقدم بيان ذلك إذا لاحظنا هذا كله ترجح الاحتمال الذي ذكرناه وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة[٥].

---

١ – انظر : العقائد الوثنية صـــ٤٣ ــ٤٤.
٢ – المرجع نفسه : صـــ٤٤.
٣ – انظر : الأسفار المقدسة. د على عبد ا لواحد وافي صـــ١٢٩.نهضة مصر
٤ – انظر : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي د. محمد البهي صـــ٨١ ــ ٨٢ . ط مكتبة وهبه ط٦ سنة ١٤٠٢هـــ. ١٩٨٢م .
٥ – انظر: الأسفار المقدسة. على عبد ا لواحد وافي صـــ١٢٩.

كذلك يؤكد عمق الصلة بين التثليث في الفلسفة اليونانية والتثليث عند النصارى .

" على أنه يجب أن يلاحظ – وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحي عن الأفلاطونية الحديثة – أن الأقانيم الثلاثة ليست في نظر هذا المذهب متساوية في الجوهر والرتبة ، بينما هي متساوية عند المسيحية ، فالابن الذي يتولد من الأب لا يمكن أن يكون أدنى منه كمالا ، وإلا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطرارا عنه غير الكامل ، وهذا حط من رتبته ، وكذلك الروح القدس مساو للأب والابن [١].

وأيضا يجب أن يلاحظ أن تثليث المسيحية كحقيقة مقررة متأخرة عن أفلوطين لأن أفلوطين توفي سنة ٢٧٠ بعد الميلاد ،والتثليث لم يتكامل إلا في نهاية القرن الرابع ، والمتقدم يتأثر به المتأخر كما يرجح العقل[٢].

ولذلك يربط فضيلة الدكتور . سعد الدين صالح بين بولس وبين هذه الفلسفة الأفلاطونية فيقول :وقد اطلع بولس على كل هذه الثقافات ،فحاول أن يقرب النصرانية إلى هذه الأمم الجديدة بتصور المسيح أنه ابن الله الوحيد والمخلص للبشرية من خطاياهم ، بحيث لا يكون التحول من الوثنية إلى المسيحية معناه الدخول في جو غريب أو ممارسة لثورة فجانية ، أو عقيدة جديدة بل حاول بولس أن تكون طقوس العقيدة الجديدة استرجاعا للعقائد الوثنية القديمة التي اعتدوها[٣].

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [٤].

---

١ – انظر: محاضرات في النصرانية د . سهير محمد القبل صــ٧٠.

٢ – انظر: نفس المرجع صــ٧٠ ــ ٧١ .

٣ – انظر: مشكلات العقيدة النصرانية د. سعد الدين صالح صــ ٩٠ ــ ٩١ .ط دار الأرقم للطباعة ط٣ .١٩٩٢م.

٤ – سورة التوبة الآية ٣٠.

الفصل الثالث

النصارى بين التوحيد والتثليث

وجاء في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مضمون التثليث في العقيدة النصرانية .

المبحث الثاني : كيف تحولت عقيدة النصارى من التوحيد إلى التثليث ؟

المبحث الثالث : موقف الفرق النصرانية من وحدانية الإله الواردة في الأناجيل.

المبحث الأول : مضمون التثليث في العقيدة النصرانية

من المعلوم أن فكرة التوحيد في التثليث ، والتثليث في التوحيد فكرة ركز عليها النصارى ، وأطالوا في شرحها وتبريرها ، وذلك بتحميل اللفظ مالا يحتمل علي الرغم مما هو موجد في الأناجيل من نصوص تدل علي وحدانية الله وحدانية مطلقة لا تقبل تأويلاً .

فالوحدانية عندهم هي التي تحتوي علي ثالوث مقدس يضم الآب والابن والروح القدس ، وهذه هي الوحدانية الجامعة لديهم .

فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية " يمكن التعبير عن عقيدة التثليث المسيحية تعبيراً صحيحا بالكلمات الآتية : إن الآب إله ، والابن إله ، والروح القدس إله ، غير أن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا ثلاثة آلهة ، وإنما هم إله واحد " [1]. ولنترك المجال فسيحا للنصارى حتى يعبروا عن المقصود بالوحدانية في أناجيلهم وعن معتقداتهم فيها .

١ – يقول القس "بولس سباط " شارحاً هذه العقيدة : " يرى النصارى أن الباري تعالى جوهر واحد ، موصوف بصفات الكمال ، وله ثلاث خواص ذاتية ، كشف المسيح عنها القناع ، وهي الآب ، والابن ، والروح القدس ، ويشيرون بالجوهر الذي يسمونه الباري ذا العقل المجرد إلى الآب ، وبالجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاته إلى الابن ، وبالجوهر عينه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى الروح القدس ، ويريدون بالجوهر ما أقام بنفسه مستغنياً عن الظروف " [2] .

٢– ويقول القس "بولس الياس " مبرراً عقيدة الثالوث في كتابه يسوع المسيح " : من الناس من يقولون : لم يا ترى إله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ أو ليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدرة الله ؟
أو ليس من الأفضل أن يقال الله واحد وحسب ؟ ويتولى هو الإجابة بنفسه على كل هذه الأسئلة فيقول: لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث ، وكنه الله محبة ، ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً ، فالمحبة هي مصدر سعادة الله ، والمحبة تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما ، بحيث يندفع المحب إلى هبة الذات لمن يحب هبة تكون فيها سعادتها ، ولكي يكون الله سعيداً كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالي صورة ناطقة له ، ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل ، ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وثمرة المحبة المتبادلة بين الآب والابن كانت الروح القدس [3] .

٣– وجاء في دائرة المعارف البريطانية " يمكن التعبير عن عقيدة التثليث المسيحية تعبيراً صحيحا بالكلمات الآتية : إن الآب إله ، والابن إله ، وروح القدس إله ، غير أن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا ثلاثة آلهة وإنما هم إله واحد ، ذلك أنه بينما نضطر طبقا للعقيدة المسيحية أن نعتبر كلا من هذه الأقانيم الثلاثة إلها ومولى إذا المذهب الكاثوليكي ينهانا أن نعتبرها ثلاثة آلهة أو

---

١ – ما هي النصرانية : محمد تقي العثماني صـ ٣٧ ، ط . مكتبة دار العلوم كراتشي .

٢ ــ المسيحية . د . أحمد شلبي صـ١٤٠ . ط دار النهضة العربية ط ٨ سنة ١٩٨٤ م.

٣ ــ الله واحد أم ثالوث ، مجدي مرجان . صـ١٧ .

ثلاثة موالي" [١] .

٤ـ ويقول (سينت اوغسطينوس)العالم والفيلسوف المسيحي المعروف في القرن الثالث الميلادي ... جميع علماء العهد القديم والعهد الجديد الكاثوليك ، الذين أتيح لي أن أقرأ لهم والذين كتبوا من قبلي في موضوع التثليث كلهم يريدون أن يلقنوا في ضوء الصحف المقدسة عقيدة أن الآب، والابن ، وروح القدس يشكلون بالمجموع وحدة إلهية لا تقبل التقسيم كنهها وحقيقتها ، فليسوا ثلاثة آلهة ، وإنما هم إله واحد ، وبما أن الآب خلق الابن فالآب ليس بالابن وكذلك الابن ولد من الآب ، فالابن ليس بالآب وكذلك الروح القدس ليس بالآب والابن وإنما هو روح الآب والابن يوجد فيهما سواء ويشاركهما في الوحدة الثالوثية ، ولا يظن أن هذه الوحدة الثالوثية هي ذاتها ولدت من بطن مريم العذراء وصلبها ... ودفنت ثم قامت من القبر في اليوم الثالث ودخلت الجنة لأن هذه الحوادث لم تقع للوحدة الثالوثية وإنما حدثت للابن وحده " [٢] .

٥- يقول الدكتور يوسف بوست شارحاً هذه العقيدة : " طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية ، الله الآب ، الله الابن ، الله الروح القدس ، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس التطهير غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء "[٣].

٦- ويقول زكى شنودة : "وقد عرف المسيحيون من السيد المسيح أن الله واحد في ثلاثة أقانيم هم الآب والابن والروح القدس ، وأن هذه الأقانيم الإلهية هي طبيعة واحدة وذات واحدة ، وجوهر واحد بسيط منـزه عن التأليف والتركيب ، وهذه حقيقة تفوق الإدراك البشرى .. . وقد فهمنا من كلام السيد المسيح أن الأقانيم الثلاثة الذين في الله ، وإن اتحدوا جوهراً وطبعاً وذاتاً وصاروا واحداً ، إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث الأقنومية ، فالآب ليس هو الابن ، والروح القدس ليس هو الآب ولا الابن " [٤].

هذا هو مضمون عقيدة التثليث من خلال أقوالهم التي إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى اتفاقهم في هذه العقيدة ، وإن كانوا يحاولون الظهور بمظهر من يجمع بين التوحيد والتثليث ، ولكنهم عند محاولتهم تستغلق فكرة التثليث ، وتصير بعيدة عن التصور ، كما أنها في ذاتها مستحيلة التصديق .

يقول القس توفيق جيد : " إن الدخول إلى المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسر الأزل سر الثالوث الأقدس ، إن كلمة السر التي بها يقبل أي كائن في ملكوت السماوات هي سر الأزل سر الثالوث الأقدس " [٥]

---

١ - انظر: ما هي النصرانية للأستاذ . محمد تقي العثماني صـ ٣٧ .

٢ـ نفس المرجع صـ ٣٧ ، ٣٨ .

٣- قاموس الكتاب المقدس صـ٢٣٢.

٤- تاريخ الأقباط زكى شنودة ١ / ٢٧٦ . نشر لجنة التأليف والنشر ط١ . ١٩٦٢ م

٥- سر الأزل صـ٥٠ نقلاً عن الله واحد أم ثالوث صـ٢٥ .

ويذكر القس بوطر صاحب " رسالة الأصول والفروع " بعد بيانه لعقيدة التثليث فيقول : قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، نرجو أن نفهمه أكثر جلاء في المستقبل ، حين يكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض ، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية ، ومفهوم قوله أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها وحقيقتها إلا يوم أن تتجلى لهم الأشياء يوم القيامة ، وذلك حق فإنهم لا يعلمون حقيقتها إلا يوم يقفون بين يدي الله – ﷻ– يوم الحساب ليحاسبهم عليها [١].

فالتثليث إذن من أهم العقائد النصرانية التي لا يستطيعون إنكاره لأن إنكاره وانتفاءه يعني انقضاء ذات كل نصراني كما ورد عنهم .فقد جاء على لسان أحد علمائهم – الذي خرج عليهم وهداه الله إلى الإسلام فيذكر أنه لا يصح مطلقا نفي التثليث لأنه بانتفائه تنتفي أنت إذ هو أنموذجك ، ومصدر صفاتك الذاتية الثلاثية الذات ، والنطق ، والحياة ، وآثارها غير مفقودة ، فكيف يصح انتفاؤك وأنت موجود بنفي الأقانيم الثلاثة الإلهية [٢].

وإذا كان النصارى يؤمنون بثلاثة أقانيم أو ثلاثة آلهة الآب والابن والروح القدس ، فإنهم يقولون أن الثلاثة واحد ، وهذا أمر لا يعقل ولا يفهم لأن العقل لا يمكن أن يتصور أن ثلاثة ذوات تصبح ذاتاً واحدة ، إنما العقل يتصور أن ذاتاً واحدة تتصف بصفات متعددة ، وهذا هو ما يتصوره العقل ويقبله ، وإذا كان الأمر علي هذا النحو فما الذي دعا النصارى إلى الجمع و التوفيق بين التوحيد و التثليث؟ وما الداعي إلى الإيمان بالتثليث مع أن النصرانية في أصلها ديانة موحدة ؟ وما الطرق التي اتبعها النصارى لحل هذه المعضلة علي حد زعمهم ؟

وللإجابة علي النقطة الأولي أقول وبالله التوفيق :

١– أن المسيحية في أساسها كما جاء بها المسيح ، وكما آمن بها الحواريون والتلاميذ كانت رسالة سماوية صحيحة ، وجميع الرسالات السماوية جاءت بالدعوة إلى التوحيد الخالص .

٢– أن المسيحية نشأت في أحضان اليهودية ، واليهود يدينون بالتوحيد فما كان للمسيحيين أن يعلنوا التثليث ويلغوا التوحيد وإلا ما آمن بها أحد من اليهود [٣] .

٣– ما ذكره الإمام أبو زهرة من أن شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث ، أو على الأقل يجتهد بعضهم في بيان أنه لا منافاة بينهما ؟ لعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتاباً مقدساً عندهم ، وهى تصرح بالتوحيد ، وتدعو إليه ، وتحث عليه ، وتنهى عن الشرك بكل شعبه ، وكل أحواله ، بل تدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا وحينما ثقفوا فهم يجتهدون أولاً: في أن يستنبطوا من نصوصها ما يحملونه على الإشارة إلى التثليث ، كعبارة " كلمة الله " ، أو عبارة " روح القدس " [٤] .

وأحياناً كانوا يدركون أن ما في التوراة لا يساعدهم على القول بالتثليث فكانوا يلجئون إلى طريق آخر يوضحه لنا ، حبيب سعد بقوله : " قد يقال : هل في نظر المسيحية شيء ما يعدو حدود العهد القديم ، أي دين اليهودية ، وليس لهذا السؤال إلا جواب واحد وجواب جد خطير ألا وهو أننا في الواقع نشرح العهد القديم في ضوء العهد الجديد ، وهو بهذا كما ترى يحتم أن يوجه العهد

١– نظر: محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة صــ ١٠٥ .دار الفكر العربي ط٣ ١٢٨١هــ١٩٦١ م.
٢ – انظر: الله واحد أم ثالوث د .محمد مجدي مرجان صــ ١٠ ط دار النهضة العربية القاهرة .
٣– انظر:المسيح والمسيحية في القرآن والعهد الجديد د.عبد الرحمن المركبي صــ١٦٦–١٦٧مطبعة الشمس شبين الكوم
٤– محاضرات في النصرانية صــ١٠٦ .

القديم وجهة العهد الجديد ، أو قل يجعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً " [١] .

٤ - يحاولـون أن يـرجعوا التثلـيث إلى الوحدانية ، لتلتقي التوراة مع الإنجيل فيقربوا الـتوراة إلـيهم بتحميل عباراتها ما لا تحتمل ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحـيد وإن كـان هو أيضا لا يحتمل ذلك ، ولعل ذلك تتميم للفلسفة الرومانية التي كانت تحاول الجمع بين مسيحية المسيح ﷺ ووثنية الرومان ، وتوراة اليهود بما لا تحمل من وحدانية ظاهرة لا شبه فيها إلا التجسيد أو ما يوهمه في بعض عبارتها . [٢] هذا عن النقطة الأولي .

أما عن النقطة الثانية : **فإن** الإيمان بالتثليث والدفاع عنه فيرجع إلى عدة عوامل وهي علي النحو التالي :-

• التأثر بالوثنية الرومانية التي كانت تحتل البلاد آنذاك وتضم تحت سلطانها بلاد حوض البحر المتوسط جميعاً .وهذا ما يقربهم إلى السلطة الحاكمة علي حساب اليهود الذين يرون في الوثنية الرومانية شركاً وكفراً بالله.

• التأثر بالفلسفة اليونانية لاسيما الأفلاطونية الحديثة التي انتشرت في مصر وسوريا وفارس وغيرها .

•الغلو في شأن عيسي عليه السلام نظراً للإرهاصات والآيات التي جاء بها والتي لا تتأتي في نظر العامة ومن يقودونهم إلا من إله قادر علي الإتيان بها [٣]. لكل هذا أصر النصارى علي التثليث والتوحيد وآمنوا بهما .

أما عن النقطة الثالثة : وهي الطرق التي اتبعها النصارى لتحقيق التوفيق بين المتناقضين أو بمعني أخر بين التوحيد والتثليث فأقول: لقد اتخذ النصارى لتحقيق هذا التوفيق طرق متعددة وهي :

الطريقة الأولى: يقولون فيها لو علم المسلمون مرادنا بالآب والابن والروح القدس ، لما أنكروا علينا . فإن مرادنا بالآب الذات ، والابن النطق ، والروح القدس الحياة ، والثلاثة واحد ، وهذه الثلاثة يعتقدها [٤] .المسلمون [٥] .

١- المسيحية. د . أحمد شلبي صـ ١٤٤ .

٢ - انظر : محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبو زهرة صـ ١٠٦ .

٣ - انظر:المسيح والمسيحية في القرآن والعهد الجديد د.عبد الحمن المركبي صـ١٦٧.

٤ - انظر: الأجوبة الفاخرة للإمام القرافي تحقيق د. بكر زكى عوض صـ ١٣٤ ط ١٩٨٦م.

٥ - مما لا شك فيه أن هذا الزعم باطل لا أساس له من الصحة حيث إن ما يعتقده المسلمون أن ذات الله واحدة لا تعدد فيها ولا تركيب بأي حال من الأحوال سواء أكان التركيب ذهنيا أم خارجيًا فذلك على الله محال . فذات الله لو تركبت من أجزاء لكانت محتاجة إلي أجزائها التي تتركب منها ، بالإضافة إلي مركب يركب هذه الأجزاء على نمط خاص ومقدار معين . وكل هذا لا يستقيم وكمال الذات الإلهية . فذات الله واحدة وحدة مطلقة لا تعدد فيها ولا تركيب وهذا هو معتقد المسلمون . ومما يؤكد ذلك ما ساقه علماء الإسلام لإثبات هذه القضية فقد ساقوا أدلة متنوعة ومن أشهرها دليل التوارد ، ودليل التمانع .وغيرهما من أدلة أخرى تثبت وحدانية الله وإبطال التعدد و التركيب (انظر : المطالب العالية للرازي بتحقيق د . أحمد حجازي السقا م ١ ج٢ صـ ١١٩ : ١٢٢ . دار الكتاب اللبناني ١٩٨٧م .المواقف للإيجي بشرح الشريف الجرجاني ضبط وتصحيح محمود عمر الدمياطي م ٤ ج ٨ صـ٤٧ -٤٨) .

يقول الدكتور يوسف بوست شارحاً هذه العقيدة : طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية ، الله الآب ، الله الابن ، الله الروح القدس ، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس التطهير غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء [١].

الطريقة الثانية : وهي تقوم علي أساس : أن فكرة التعدد في الوحدانية ليست غريبة عن كتاب الله أو عن خلقه . فالإنسان نفسه واحد وثالوث في آن واحد ، فهو مكون من نفس وروح وجسد. كذلك الإله مكون من آب وابن وروح قدس . يقول القس قائم الدين معبراً عن ذلك : التأمل في التركيب الجسماني للإنسان يدل على أن كيانه يتألف من الأجزاء المادية المتجانسة التي تستطيع الأنظار المادية أن تربى هيأتها الاتحادية فمثلا : العظم ، واللحم ، والدم من اتحاد هذه الأشياء الثلاثة يقوم الجسم الإنساني في الوجود، ولو فقد واحد منها لما تم وجود الجسم الإنسان [٢]

ويقول إلياس مقار : وهناك قياس آخر يؤخذ من طبيعة الإنسان نفسه فهذه الطبيعة تمثل ظاهرة الواحد في الثلاثة والثلاثة في الواحد ... وهناك القياس المستمد من حقيقية الله ذاتها وهو القياس الذي أخذه أوغسطنيوس من صفة الله محبة ، إذ تكون المحبة عاطلة وغير ذات موضوع ما لم يكن هناك محبة ومحبوب وذاتية المحبة وهذا القياس هو تصور أن الإنسان الواحد مكون من ثلاثية " النفس والروح والجسد " فهذه الصورة ترينا التعدد والوحدة في ذات الإنسان الواحد [٣].

ولما كان فكرة تشبيه الذات الإلهية بالإنسان فكرة غير مقبولة – شكلاً وموضوعاً– لذا أخذوا يشبهون ذلك التوحيد في التثليث بتشبيهات أخرى. تحل هذا التناقض الذي وقعوا فيه ودانوا به – علي حد زعمهم – فشبهوا التوحيد في التثليث بالشمس والبيضة ، والتفاحة والزمن والمثلث وغير ذلك من التشبيهات الأخرى المحسوسة . وفيما يلي عرض لبعض النماذج التي تؤكد صدق ما نذكره من جهة ، وتوضح مدي تهافتهم وتناقضهم من جهة أخري .

مثال الزمن : إن الزمن ثلاثي ماض، وحاضر ، ومستقبل ، لو كان الزمن ثنائيا فقط لما كان للزمن وجود ، فلنفرض مثلا أنه ليس هناك ماض ، إذاً فما كان وجود للزمن حتى هذه اللحظة ، وبعد قليل أيضا لن يكون لهذه اللحظة التي نتكلم عنها وجود معنى ذلك أن الزمن كله قد تلاشى ، أو لنفترض أنه لم يكن هناك حاضر ، هذا معناه أنه ما كان هناك لحظة على الإطلاق كان الزمن موجودا فيها وبالمثل أيضا إذا لم يكن هناك مستقبل فإن الزمن ينتهي في اللحظة التي نحن فيها بل ويقينا يكون قد انتهى من قبل ذلك و بالتالي لا يكون هناك زمن على الإطلاق ، إذا إما أن يكون الزمن ثلاثيا وإلا فلا زمن، كذلك الإله إما أن يكون ثلاثة وإما أن يكون لا إله [٤].

---

١ – انظر: قاموس الكتاب المقدس صـ٢٣٢ .

٢ – انظر: تكشيف التثليث في شرح وتفسير عقيدة التثليث : للقس قائم الدين صـ ٢٤ ط مطبعة لاهور باكستان عام ١٩٧٢ م نقلاً عن ما هي النصرانية : محمد تقي العثماني صـ ٤٦: ٤٨

٣ – انظر: إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى : إلياس مقار صـ ٧٤ . دار الثقافة القاهرة .ط ٢ .١٩٧٨م .

٤ – انظر ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي . يوسف رياض صـ ٤٦ .

مثال التفاحة : من المعلوم أن التفاحة تتكون من ثلاث خواص هي الذات والطعم والرائحة ، ويمكن التمييز بين هذه العناصر الثلاثة فالتفاحة وإن كانت واحدة ، فالرائحة مثلا غير الذات والطعم ، والذات هي علة الطعم والرائحة ، وكما أن التفاحة لا توجد بدون الطعم والرائحة كذلك لا يمكن تصور الآب بدون الابن والروح القدس ، فبغير هذه الأقانيم لا يتأيد وجود الله ، والإنسان عندما يأكل التفاحة فإنه يأكل الذات ، وبحاسة الذوق يميز الطعم ، وبحاسة الشم يميز الرائحة [1] .

مثال المثلث : للمثلث زوايا ثلاث وكما أن الزوايا الثلاث في المثلث لا تجعل منه ثلاثة مثلثات بل واحد، فكذا الأمر في الأقانيم الثلاثة وهكذا مع الفارق الكبير في هذا السر العميق تتألف ذات الله من أقانيم ثلاثة وهو إله واحد . هذا هو الثالوث الأقدس في المسيحية ، وكمسيحي أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له واحد أحد في أقانيم ثلاثة الآب والابن والروح القدس له المجد والكرامة والسلطان إلى أبد الآبدين [2] .

هذه بعض التشبيهات التي حاول بها النصارى حل إشكالية التثليث وهى كما نري أقيسة مع الفارق نظرًا للتفاوت بين الله الخالق والإنسان المخلوق ، كما أنه لا تستقيم وكمال الذات الإلهية ، كم أنها " غير متطابقة ذلك أن المسيحيين أغفلوا فيها أن الذات والنطق والروح في الإنسان لا يكون كل واحد منها ذاتاً مستقلة بنفسها فلا يطلق علي الذات وحدها إنسان، ولا علي النطق وحده ، وكذلك الروح " [3].

ومع هذا فإن النصارى يتمسكون بهذه العقيدة ولا يرون غضاضة في ذلك بل هي من مكملات الإيمان لديهم لا تكتمل العقيدة الحقة لديهم بدونها .

الطريقة الثالثة : طريقة إعادة النظر في الأقانيم الثلاثة : علي الرغم من الحلول التي قدمها رجال الدين النصراني لحل معضلة الجمع بين المتناقضين إلا أنها جاءت قاصرة عن الوفاء بالمطلوب لا تسمن ولا تغني من جوع. لذا قدمت إحدى الفرق النصرانية حلاً محاولةً من خلاله إيجاد مخرج لهذا المأزق الذي سبب حرجاً بالغاً لرجال الكنيسة، وجعل الناس ينظرون للنصرانية علي أنها عقيدة باطلة حيث إنها تتناقض مع العقل وتتصادم مع الفطرة .

يقول الأستاذ . محمد تقي العثماني : " وقد تحدث البروفيسور" مارس ريلتون " عن الصورة الممتعة لما قدمته فرق شتى من حلول مختلفة للقضية ، وذلك في كتابه القيم (دراسات في العقيدة المسيحية) فقال : لقد نهضت الفرقة (الأبيونية) لحل هذه المعضلة فسقطت في أول الطريق ، واعترفت بأنها لا تستطيع الاحتفاظ بعقيدة التوحيد ،لو آمنت بألوهية المسيح عليه السلام ، فلا بد من الاعتراف بأنه لم يكن الإله الكامل ، و يمكن أن يقال : إنه – أي المسيح عليه السلام – كان مثيل الله ،

---

١ – انظر:الله واحد أم ثالوث د. محمد مجدي مرجان صـ ١٦ .

٢ – انظر:أديان العالم. حبيب سعيد صـ ٢٩٧ .

٣ – تأثر المسيحية بالأديان الوضعية د . أحمد عجيبةجـ٢ صـ ٥٠٨ .

أو انعكاسا لأخلاق الله ، ولا يمكن أن يقال إنه في الحقيقة إلها مثلما كان الآب .

وبما أن هذه الفرقة حاولت حل هذه القضية بضرب القاعدة التي تقوم عليها العقيدة المسيحية ، فعارضتها الكنيسة معارضة سافرة ، واعتبرت المنتمين إليها مبتدعين ملحدين وعلى ذلك فكان هذا الحل للقضية مرفوضا .

ونهض بعض رجال الفرقة الأيبيونية وقالوا : لا ينبغي معارضة ألوهية المسيح بهذه الصراحة ، ينبغي أن نعده إلها ، وتجنباً من تهمة الشرك يجب الإيمان بأن الإله بالذات إنما هو الآب لكن العقيدة الثالوثية أيضا صحيحة ، ذلك أن الآب بنفسه قد منح الابن وروح القدس صفة الألوهية هذه [١].

غير أن هذا المذهب كان يتعارض مع عامة المذاهب الكنسية ، لأن الكنيسة تؤمن بالابن إلها بالذات كالآب تماما ، فاعتبرت هذه الفرقة كذلك ملحدة ، وبقيت القضية كما كانت دونما حل .

ونهضت فرقة ثالثة باسم آخر وزعماء آخرين وقد جاءوا من أجل حل هذه القضية بفلسفة جديدة : زعموا أن الآب والابن ليسا في الواقع أقنومين منفردين ، وإنما هما مظهران مختلفان لإقنوم واحد ، أطلق على كل منهما اسم على حدة وأن الله في الواقع هو الآب ، وهو قديم في ذاته خالد لا يفنى ولا تدركه الأنظار البشرية ، ولا تطرأ عليه العوارض البشرية وبما أنه إله ، ولا يستطيع أحد أن يفرض حدا على الإرادة الإلهية ، فلو شاء في وقت أن يفرض على نفسه العوارض البشرية لصنع ذلك ، ولو شاء لتراءى للإنسان في صورته حتى أنه لو شاء لمات أمام الناس ، فشاء الله ذات مرة أن يظهر في صورة إنسان ، فتجسد في يسوع المسيح ، وتراءى للناس ، ونالته اليهود بأنواع الإيذاء حتى صلبوه ، إذا فإن يسوع المسيح أو الابن ليس بإقنوم مستقل وإنما هو الأب الذي اتخذ شكل الإنسان وأطلق على نفسه اسم الابن .

ومن الواضح أن هذه الفلسفة إذ تقدمت خطوة نحو حل قضية اتحاد الثلاثة والواحد ، فإنها أثارت بجانب ذلك قضايا مستعصية على الحل ... ثم إن هذه الفرقة هي الأخرى لم تسعف المذهب الكنسي بشيء في اعتباره الأب والابن أقنومين مستقلين فاعتبرت كذلك مبتدعة ، وبقيت القضية كما كانت تنتظر الحل .[٢]

الطريقة الرابعة : قصور العقل الإنساني عن فهمها : لما عجز النصارى عن إيجاد طريقة مقنعة يقبلها العقل ويرتضيها لحل هذه المشكلة لجئوا إلى طريقه أخري لا تقل ضعفاً عن الطرق الأخرى .

وهذه الطريقة تقوم علي أساس عجز العقل الإنساني عن حل تلك المشكلة لكونها خارج حدوده و فوق طاقاته. فهم يقولون : إن العقل لا يستطيع أن يدرك حقيقة الوحدانية في التثليث .

---

١ – انظر: دراسات في العقيدة المسيحية . مارس يلتون صـ ٦١ وما بعدها نقلا عن كتاب ما هي النصرانية : محمد تقي العثماني صـ ٤٣ ــ ٤٤ .

٢ – انظر: ما هي النصرانية صـ٤٤ ــ٥٤ .

ويؤكد هذا د. وطسون فيذكر : إن عقيدة الثالوث لا تضاد العقل بل تفوقه [1] .

و يقول عوض سمعان في صراحة : إننا لا ننكر أن التثليث يسمو فوق العقل إدراكه لأن الله عجيب في ذاته ولا يمكن الإحاطة به إطلاقا ، وإذا كنا نقول بذلك فإن قولنا هذا يتفق مع كمال الله كل التوافق ، ومن هنا نري أن هناك فرقاً بين الأمور التي تسمو فوق العقل ، وتلك التي لا تتفق معه فالأولي هي التي تتفق معه في أساسها ، لكن لسموها لا نستطيع الإحاطة بكنهها ، أما الثانية فإنها لا تتفق معه إطلاقاً ، لا في أساسها ولا في كنهها ، وحسب كلامه فالتثليث من النوع الأول [2] .

ويقول يوسف رياض : هذه الحقيقة أعنى وحدانية الله الجامعة المانعة ... هي بالفعل فوق العقل والإدراك لكن هذا لا يعبها بل بالعكس إنه دليل صحتها ، فالعقل إذا أخترع شيئا فإنه يخترع ما يتناسب مع قدرته وفي حدودها ، فكون هذه الحقيقة أسمى من العقل فهذا دليل على أنها ليست من إنتاجه .لقد شغلت هذه المعضلة ذهن المفكر المسيحي القديم أغسطنيوس دون أن يهتدي إلى حل يقنعه تماما [3] .

تعقيب :

وبعد ... فهذه هي الطريقة الأخيرة التي في يد أصحاب الثالوث. يحاولون من خلالها تبرير ما هم عليه من ضلال رغبة منهم في السيطرة علي أتباعهم. وإقناعهم بها، ولكن إلى أي مدى يقتنع العقل بأن الثالوث فوق طاقتة وخارج حدوده ؟ إن مثل هذا يدل على أن هذه العقيدة من مفترياتهم ما أنزل الله بها من سلطان .

ثم إن محاولات الجمع بين الوحدانية والتثليث التي يقوم بها رجال النصرانية لهي من أوضح البراهين على فساد هذه العقيدة وتناقضها فهي دون عناء تتصادم مع أبسط قواعد العقل وتتناقص مع قوانين الفكر الأساسية. إذ كيف يكون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ؟

وهكـذا يتـضح لنا أن النصارى يلوون نصوص كتابهم ليا لتتفق مع عقيدتهم الباطلة ، والدلـيل على هذا أن الطرق التي اتبعوها لتبرير هذه العقيدة ومحاولة جعل لها وجه من القبول لا تشفى غليلاً ولا تجعل لها مجالاً للقبول .

فالطريقة الأولي : التي يقولون فيها أن الآب والابن والروح القدس ليست أسماء ثلاثة لثلاثة أشـخاص، وإنما الآب يمثل الذات والإبن يمثل نطقة والروح القدس يمثل حياته باطلة ولم تسام من النقد . يقول الإمام القرافى يرحمه الله : إن قلتم أن الإله واحد ، والزائد صفات فهو قولنا : وفارقتم قـول مـشيخ الأمانة في قولهم الأب إله واحد ، والإبن يسوع إله واحد ، والروح القدس إله ثالث

---

١ - انظر: شرح أصول الإيمان د. أندور وطسون . صـ٤٧ . راجعه وأتمه إبراهيم سعيد . مطبعة النيل المسيحية . القاهرة ١٩٣٠ م .

٢ - انظر: الله ذاته ونوع وحدانيته. عوض سمعان صـ ١٣٦ .

٣ - انظر: ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي . يوسف رياض صـ ٣٨ طه سنة ١٩٩٧ م .

وأفسدتم صلواتكم حيث تقرءون فيها : الملائكة يمجدونك وابنك نظيرك في الابتداء ، وروح القدس مشاركك في الكرامة.

وإن قلتم الجميع إله واحد ، وكل منهما يستقل بالإلهية فقد خالفتم ما تقدم في الأمانة، والصلوات ففي الأمانة أن المسيح إله حق أتقن العوالم بيده ، وخلق كل شيء ، و أنه وأنزل من السماء لخلاص الناس والذي نزل من السماء إنما هو أقنوم الابن وحده .

وإن قلتم إن كل واحد من الثلاثة إله ومجموعهما إله واحد ، فنقول لهم الإله يتصور عندكم بدون صفات الكمال ، من الحياة والعلم والكمال أم لا ؟ فإن زعموا تصور ذلك فكل جماد في العالم أو نبات أو حيوان هو إله مستقل لاقتصارهم على مجرد ذات المفهوم من الإله .

وإن قالوا لابد من هذه الصفات في مفهوم الإله لزمهم أن يكون لكل واحد من هؤلاء الثلاثة علم وحياه وكلام التي هي عندهم في الأقانيم الثلاث فيصير التثليث تتسيعا ، ويلزمهم أن يكون كل واحد من التسع إلها لأن كل واحد منهما مساو لكل واحد من الثلاثة الأول و يحتاج كل واحد من التسع إلى صفات ثلاثة لأن حينئذ إله و يلزمهم التسلسل فآلهة غير متناهية ، وهذا محال[1] .

وهذه الطريقة الأولى التي لجأ إليها النصارى كي يوفقوا بين وحدانية الله وبين كونه ثلاثة أقانيم ، وهى محاولة باطلة لأنها قد تخرجهم عما قرروه في قراراتهم ومجامعهم.

ولما كانت هذه الطريقة لا تكفي لجأ النصارى إلى طريقة أخري حاولوا أن يوفقوا بها بين التوحيد والتثليث وهى **طريقة تقوم على أساس أن التعدد ليس غريبًا عن كتاب الله أو عن خلقه**. ولتبريرها لجئوا إلي ضرب الأمثال والتشبيهات بين الخالق والمخلوق وهي تشبيهات لا تستقيم وكمال الذات الإلهية نظرا للتفاوت بين ذات الله تعالى وذات غيره فذاته تعالي لا تعدد فيها ولا تركيب ، كما أنها أزلية أبدية باقية موصوفة بكل صفات الجلال والكمال ، على خلاف الذوات الأخرى فهي حادثة فانية مركبة من أجزاء ظاهرة ، وأخري باطنة ولا تكتمل حياتها إلا بوجود هذه الأجزاء ، فضلاً عن وجود مركب يركب هذه الأجزاء على نمط خاص ومقدار معين . فقالوا : إن الله تعالى واحد في ثلاثة كما أن الإنسان واحد وثلاثة في أن واحد ، لأنه مكون من نفس وروح وجسد أو من عظم ولحم ودم أو أن دماغ الإنسان واحد ولكنه يحمل ثلاث . يحمل العلم والمعلوم وأداه العلم ، ولحامل كل منهما يقال : الدماغ ومع ذلك لا يقال إن الدماغ ثلاثة ، كذلك الإله فهو عبارة عن ثلاث أقانيم وكل من هذه الأقانيم إله ومع ذلك لا يستلزم أن يكون الإله ثلاثة وإنما هو إله واحد . بداية نشير إلى أن هذه الفكرة ليست من عند النصارى ، بل إن النصارى أخذ وها عن فلاسفة اليونان ، وقد اعترف أحد النصارى بذلك فقال : "استنتجنا فيما سلف أن وحدانية الله هي وحدانية جامعة مانعة، وهذه الحقيقة ليست جديدة، فإن معظم الفلاسفة " حتى الذين يقولون إن وحدانيته مجردة أو مطلقة " كانوا قد أدركوها كما ندركها نحن، فأسندوا إلى

---

[1] – انظر :الأجوبة الفاخرة للإمام القرافى . صـــ ٣٠٧ تحقيق د/ بكر زكى عوض

وحدانية الله مميزات خاصة، فجعلوها وحدانية جامعة مانعة. والاقتباسات التالية خير شاهد على ذلك فمثلاً فلاسفة اليونان : قال أفلاطون : الله جميل حكيم خيّر، جامع لكل المحامد . ولم يترك لنا أفلوطين مجالاً لإثبات دلالة هذه العبارة، على أن وحدانية الله هي وحدانية جامعة مانعة، فقد قال : إله أفلاطون ليس وحدة مطلقة، لأنه مؤلف من الانسجام والجمال والحقيقة، وإن كان الكل واحداً . وقال أرسطو : الله هو الكل ، وقال أيضاً : الله عقل وعاقل ومعقول (١).

أما عن قولهم بأن الإنسان واحد مركب من نفس وجسد وروح والثلاثة واحد إن الإنسان وإن صح أنه مركب من نفس وجسد وروح ولكن ليست هذه الثلاثة جواهر واحد بل ثلاثة جواهر بخلاف عقيدة الكنيسة التي تؤكد أن الأقانيم الثلاثة جوهر واحد [٢] .

وأمـــا قولهم إن الإنسان مركب من عظم ولحم ودم والثلاثة واحد فهذا يدل على تخبطهم وعدم فهمهم لجوهر عقيدتهم الباطلة التي يؤمنون بها وما أنزل الله بها من سلطان يقول أ . محمد تقـــي الدين العثماني رداً عليهم : هذا يدل على أن النصارى يفهمون أن الأقانيم عبارة عن أجزاء ثلاثة للذات الإلهية ، فكما أن الشيء المركب من أجزاء يكون من حيث المجموع واحد ، كذلك الذات الإلهـــية علـــى الرغم من تأليفها من ثلاثة أقانيم فهي ذات واحدة ، وهذا يدل على أن النصراني لا يفهـــم عقيدة الثالوث التي يؤمن بها ذلك أن المسيحية لا تؤمن بثلاثة أقانيم كثلاثة أجزاء ؛ وإنما تؤمن بها كثلاثة أشخاص مستقلين

ولمـــا كان الأمر على هذا النحو نري النصارى يعبرون عن عقيدتهم بالأقانيم بدلاً عن كلمة "الأجزاء " وإنما استعملت كلمة الأقانيم أو الأشخاص ،ولا شك إن الكائن الإنساني يتألف من اللحم والدم والعظم ، ولكن أحداً لا يقول بأن اللحم وحدة أو العظم وحده أو الدم وحدة إنسان ، إنما المجموع إنسان ، أما عند انفراده فيقال جزء ، بخلاف المسيحية فهي تعتقد أن الأب وحدة إله تام والإبن إله تام والروح القدس إله تام [٣] .

أما عن مثال الشمس والتي تحوى في ذاتها قرصاً وشعاعاً وحرارة ومع ذلك فهي واحدة فـــنقول : إن قـــرص الشمس وشعاعها وحرارتها ليست كل منها شمساً قائمة بنفسها ! لأن حرارة الـــشمس ليـــست كائناً مستقلاً عن الشمس و كذلك شعاعها ليس كائناً مستقلاً عنها بخلاف الأقانيم الثلاثة فإنها ثلاثة كائنات مستقلة ، فالأب إله تام والابن إله تام والروح القدس إله تام [٤].

وأما عن مثال التفاحة وأن لها ثلاث خواص هي الذات والطعم والرائحة ، فيجيب عنه أحد النصارى الذين هداهم الله إلي الإسلام وهو د . محمد مجدي مرجان لقد نسى هؤلاء المشبهون أن

---

[١] – أنظر: الله بين الفلسفة والمسيحية . عوض سمعان صـــ ٢٠١

[٢] – انظر: التثليث بين الوثنية والتثليث د. محمود على حماية ص ٤٠

[٣] انظر: ما هي النصرانية أ . محمد تقي الدين العثماني صـــ٤٨،٤٩

[٤] انظر التثليث بين الوثنية والمسيحية صـــ٥

التفاحة لها أيضاً لون يميزه الإنسان بحاسة الإبصار ، أو لها ملمس ونعومة يميزها الإنسان بحاسة اللمس ، أو لها حجم وشكل معين.... فهل نضيف أقانيم أخرى لله قياساً على عناصر وخواص التفاحة (١) .

وهكذا في كل الأمثلة والتشبيهات التي لجأ إليها النصارى للهروب من الحقيقة المؤلمة وهى أن التثليث فكرة مقتبسة من العقائد الوثنية الباطلة.

أما عن قول النصارى بأن التثليث سر مكنون لا يخضع للفهم ولا يدخل في مجال العقل لأن العقل قاصر على فهم كنهه وحقيقته فنقول :

إن النصارى رفضوا العقل كمصدر لاعتقاد التثليث في التوحيد والتوحيد في التثليث ، بدعوى خروجه عن نطاق العقل لقصوره ومحدوديته ، وطلبوا من الناس أن يسلموا بكل ما يقال عن التثليث دون تعقل ، أو محاولة لفهمه وهذا لا يدل إلا تخبطهم من ناحية ، وعجزهم عن تفسير هذه العقيدة التي لا تستقيم مع النقل والعقل والواقع . وهذا ما يؤكده الإمام الجاحظ فيقول: لو جهدت بكل جهدك وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت علية حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم في الألوهية ، وكيف تقدر على ذلك ، وأنت لو خلوت ونصراني نسطورى فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولاً ، ثم إن خلوت بأخيه لأمة وأبية وهو نسطورى مثله فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده ... ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما تعرف جميع الأديان (٢).

ويؤكد هذا المعنى الإمام ابن تيمية بقوله : قال طائفة من العقلاء إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا ، بل تكلموا بجهل وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم : لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولاً ، وقال آخر : لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً وامرأته قولا وابنة قولا ثالثاً (٣) .

لهذا التضارب والتناقض لجأ علماء النصرانية إلى القول بأن التثليث خارج عن نطاق العقل ، ونحن معهم في هذا القول ولكن لا لعدم فهم عقيدة التثليث ولكن لتصادمه مع قوانين الفكر الأساسية واستحالته عقلاً . " وهكذا قامت العقيدة النصرانية على أساس من إلغاء العقل ورفض الحكمة والتسليم المطلق بكل ما يقال بلا أدنى محاولة للتفكير أو التدبر " (٤) .

---

[١] انظر الله واحد أم ثالوث صـ١٦

[٢] – انظر : المختار في الرد على النصارى للجاحظ صـ٩٥ تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوي . ط دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة ط١ سـ١٤٠٥ سـ١٩٨٤م

[٣] – انظر : الجواب الصحيح لابن تيمية ٢/ ١٥٥

[٤] – مشكلات العقيدة النصرانية صـ١٨ . دار الهدي للطباعة ط١ -١٤٠٢هـ١٩٨١م.

بــل إنهــم عــدوا التفكير في مسائل العقيدة أو السؤال عن حل متناقضاتها خروجاً عن العقيدة ، لأنهم كما يقول الشيخ د. على جبر : أجمعوا على قضية خرافية هي " وخذ وأنت أعمى ، وأصــبح علــم الكلام عندهم إدهاش بالمعجزات ، وإلهاء بالخيالات حتى قدسوا المقربين أو عبدوا المخلوقين [1] .

وهكــذا يتضح لنا أن مبررات النصارى مبررات باطلة لا أساس لها من الصحة ولا يلزم من عدمها التغير في حق الذات الإلهية ، وما ساقه النصارى على ذلك من مبررات فهي ظاهرة الفساد.

يذكر القس بولس إلياس مبررا عقيدة الثالوث : من الناس من يقول لم يا ترى إله واحد فــي ثلاثـــة أقانيم ؟ أو ليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدرة الله ؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله واحــد وحــسب ؟ ولكــنة يجب عن نفسه قائلا : لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث ، وكنه الله محبة ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيدا ، فالمحبة هي مصدر سعادة الله والمحــبة تفتــرض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما ، بحيث يندفع المحــب إلى هبة الذات لمن يحب ، هبة تكون فيها سعادتهما ، ولكي يكون الله سعيدا كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالي صورة ناطقة ، ولهذا ولد الله الابــن مــنذ الأزل نتــيجة لحبه إياه ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته وثمرة المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس . ومعني هذا على حد قوله أن الله ليس كائنا تائها في الفــضاء منعــزلا في السماء لكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة ، وتفيض منها على الكون براءته ، وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفرض فيه التثليث ، إن العائلة المسيحية في نظر المسيحي صورة مصغرة للعائلة الإلهية المثلثة الأقانيم [2] .

والواقع أن هذا التبرير أيضًا في غير محله فهو باطل وذلك لما يلي :

أ / أنــه يثــبت لله الاحتياج إلى شخص آخر يبثه حبه وعطفه ، والاحتياج أمارة الحدوث وهو باطل في حقه تعالى لقيام الأدلة القاطعة التي تثبت له القدم الذاتي ووجوب الوجود والغنى المطلق من كل ما عاداه .

ب / إن المحــبة بالمعنى الذي قصدوه – وهو ميل القلب إلى المحبوب– كما يفهم من عباراتهم المتقدمة محال فــي حقــه تعالى لأنها من الكيفيات النفسية التابعة للمزاج المستحيل عليه سبحانه،ولذلك جرى المحققون من العلمــاء علــى أنها في حقه تعالى إرادة الثواب لمن أطاعه أو بمعنى الإثابة للطائعين .. وعلى كلا الحالين لا تقتضى محبوبا أزليا[3]

---

[1] – محاضرات في علم الكلام د . على محمد جبر صـــ١٠ ط شركة الطباعة الفنية القاهرة

[2] - انظر: يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه للقس بولس إلياس صـــ ٧٩ ـــ ٨٠ ط المطبعة الكاثولوليكية بيروت ط٢ سنة ١٩٦٦ م .

[3] -انظر : القرآن الكريم وعقائد أهل الكتاب د/إبراهيم سلامة صـــ٢٢٩ "بدون".

ج/ وإذا تجاوزنـــا كـــل هذا فإننا نقول :إن التغير لا يلزم في ذات الله لأن علمه وقدرته ونطقه ومحبته وسائر صـــفاته قد تعلقت أزلا بخلق العالم وحين تأتى ساعة الخلق لا يلزم التغير في ذاته فليس هناك ما يدعو لتعلق جديد[1].

وقصارى القول : إن عقيدة التثليث عند النصارى ما هي إلا لون من ألوان الوثنية والشرك تتنافي مع جلال الله تعالى وكماله لكن العجيب أن النصارى يجعلونها مظهراً من مظاهر كماله وكبريائه فالتثليث لديهم منتهى كمال الألوهية ،على حين أن التوحيد الذي هو من كمال الألوهية يعد نقصا في الذات الإلهية عندهم.

وهكذا يقرر النصارى أن الإله يحتاج إلى شخص آخر من جنسه الإلهي يهبه حبه ويجد فيه سعادته وتكتمل به ألوهيته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

---

[1] -انظر : مشكلات العقيدة النصرانية د/سعد الدين صالح صـــ٩٧.

المبحث الثاني

كيف تحولت عقيدة النصارى من التوحيد إلى التثليث ؟

موضوع الثالوث في العقيدة المسيحية موضوع ذو أهمية بالغة، ذلك لأن قول الكنيسة بوحدانية الله ، وامتياز الأقانيم أحدها عن الآخر، ومساواتها في الجوهر، ونسبة أحدها إلى الآخر، كل ذلك لم يرد فيه جملة واحدة بالتصريح في الكتاب المقدس .و لما كانت المسيحية في الأصل ديانة سماوية أي ديانة موحدة كان معني هذا أن عقيدة التثليث لم يكن لها أثر في بداية هذه الديانة فهذه العقيدة دخيلة عليها .ولكن كيف ذلك ؟ والجواب لقد تم ذلك على مرحلتين :

المرحلة الأولي : عن طريق بولس . فالثابت من التتبع التاريخي لأطوار العقيدة النصرانية، أن عقيدة التثليث، وكذلك عقيدة بنوة المسيح لله تعالى ، ومثلها عقيدة ألوهية أمه مريم، ودخولها في التثليثات المتعددة الأشكال ونحو ذلك من الانحرافات، كلها لم تصاحب النصرانية الأولى، إنما وفدت إليها عن طريق " بولس ".

ومن المعروف عن بولس تاريخيا " أنه ولد بأرض يونانية يتحدث بلغة اليونان ويكتبها منذ نشأته الأولى ، وكان ينتمي إلى عائلة ذات شأن ويحمل لقب " مواطن روماني " ورثه عن أبيه فكان بكل ذلك معدا إعدادا تاما لإدراك وتفهم التطلعات الدينية لدى يهود المهجر الذين يؤمنون بعيسى كما آمن به هو وادي المتتلمذين عليهم من الطوائف الدينية المختلفة وكان في البدء علي عداء عنيف للمسيحيين... إن بولس هذا لم يلتق بعيسى مدة حياته " [1].

ولم يجالسه أو يتحدث إليه كما أنه "لم يسمع منه ولم يشاهده كما هو الحال عند الحواريين ، فهذا يعد نقطة ضعف في حياته كيهودي دخل النصرانية لأغراض كبيرة خطط لها ، وأهداف واسعة أعد لها العدة من هنا نسج شاول من خياله قصة تضفي عليه قدسية تضعه في مصاف الحواريين إن لم يكن في مرتبة أعلى ودرجة أفضل وتمنح أقواله الصدق والوثوق " [2]

جاء في سفر أعمال الرسل : " وفي ذهابه حدث انه أقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمعا صوتا قائلا شاول شاول لماذا تضطهدني ، فقال من أنت يا سيد فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده ٠٠٠فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق ... وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم " [3] .

---

١ – المسيحية نشأتها وتطورها . شارل جينبيير صـ ٩٠ .

٢ – عقيدة التثليث عند النصارى نشأتها تطورها إبطالها أ.د . محمد شلبي شتيوى صـ ١٩ ط مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . الكويت السنة الثالثة . العدد الخامس شوال سنة ١٤٠٦ هـ الموافق يوليو ١٩٨٦ م .

٣ – سفر أعمال الرسول . ٩ / ٣– ٢٠ .

وهكذا قام بولس بوضع البذرة الأولى لدعوة التثليث علي الرغم من كونه لم يصرح بها إلا أنه وضع اللبنة الأولي فيها وذلك من خلال هذه الحادثة حيث أضاف إلى نفسه تلك المعجزة ، وهذا يعنى أنه تعلم المسيحية من الرب المسيح نفسه دون تعليم من أحد . فقد جاء عنه " وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ، لأني لم أقبله من عند إنسان ، ولا تعلمته ، بل بإعلان يسوع المسيح " [1].

وعلي هذا ساهم بولس في صياغة سائر المعتقدات النصرانية، علي الرغم من خلو رسائله من تأليه الروح القدس ، كما خلت من ذكر عناصر التثليث مجتمعة إلا في نص واحد، لا يفهم منه ما يعتقده النصارى من التثليث، وقد جاء ذلك في قوله : "نعمة ربنا يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" [2].

ومما يؤكد غفلة بولس عن التثليث التأمل في ترتيب عناصر التثليث المذكورين في النص، إذ يقدم المسيح على الأب، وهو ما تعتبره الفرق النصرانية على خلاف الصواب .

ويضاف إلى ذلك أنه سمي الأقنوم الأول : الله . فيما تسميه صيغة التثليث : الآب ، كما سمي الأقنوم الثاني : المسيح ، فيما هو عندهم : الابن أو الكلمة . إلا أن هذا لا ينفي أثره علي العقيدة النصرانية بصفة عامة ومن بينها التثليث

يقول د/ محمد شلبي : " إن القول ببنوة عيسى لله التي – ابتدعها بولس – وإن لم يكن نصا صريحا في التثليث إلا أنه أهم خطوة وأخطر عمل تسبب في القول بالتثليث ذلك أن القول بالتثليث سبقه القول بثنائية الألوهية (الله ، عيسى) الذي نتج عنه القول بالتثليث فحيث عيسى ابن إله أو رب مخلص ومنقذ لزم أن تكون أمه إلها – كما ادعى البعض ذلك – وهذا وإن ظهر بعد بولس إلا أنه فتح باب القول به فعليه وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة" [3].

المرحلة الثانية : بقوة السيف وجبروت السلطان .

إذا كانت المرحلة الأولي لهذه العقيدة مرت دون إيذاء لأحد حيث النفاق ، والخداع والمكر ،والدهاء ، كل ذلك كان مستخدماً فيها بديلاً عن القوة ، ولا عجب في ذلك فالداعي إلى أمر من الأمور لابد له في بدايته لضمان نجاحه أن يدعوا له بعيداً عن القوة والبطش وإلا أدي ذلك إلى القضاء عليه وهو لا يزال في مهده وهذا ما فعله بولس. يقول د. محمود مزروعه : إن شاعول بدا له أن يكيد لهذا الدين الجديد ويحطم هذه الدعوة الوليدة ، وبدا له أن طريق النفاق والخداع أجدى له من العداء السافر، وبدا له أيضا أن يرفع المسيح من مكانه ليضع هو نفسه فيه وتاريخ الأديان مليء بمثل هذا " البولس " وليس هو في حقيقته إلا صورة سابقة لما جاء في الإسلام من " مسيلمة الكذاب " وأمثاله ، وعاد بولس من رحلته إلى دمشق وبدأ بتمثيلية محكمة ليصل من خلالها إلى ما يريد" [4] .

---

١ – رسالة بولس إلى أهل غلاطية : ١١ / ١ـ٢ .

٢ – رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس . ١٣/١٤ .

٣ – عقيدة التثليث عند النصارى د. محمد شلبي شتيوى صـ ٢٠ .

٤ – انظر : دراسات في النصرانية د. مزروعة صـ ٩٧ بدون .

ففي هذه المرحلة تحولت النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، وتم ذلك عن طريق قوة السيف ، وجبروت السلطان وذلك من خلال المجامع التي عقدت بهدف الفصل في المسائل المختلف عليها حول شخص المسيح عليه السلام .

فقد" تم فرض الوثنية في مجمع نيقية علي المسيحيين فرضاً ،وقد استخدم الإمبراطور قسطنطين سلطانه في ذلك ،أوفي التخريف والتبديل ، فهو الذي دعا إلى عقد هذا المجمع عام ٣٢٥ م ، واتخذ صفة عالم اللاهوت ، وتدخل في المناقشات وتوجيه القرارات لتكون حصيلتها تقرير ألوهية المسيح ، وأنه من جوهر الله ، وأنه قديم بقدمه ، وأنه غير مخلوق ، وتم في هذا المجمع إدانة الراهب آريوس الذي كان يرفض تأليه المسيح ، ويدعو إلى التوحيد وإنسانية عيسي ،كما تم إحراق كتبه وكتب أتباعه [١].

والراجح أن قسطنطين هذا كان وثني الأصل عندما دعا القوم ليحسموا الخلاف كان عليه أن يرجح جانب الأغلبية الذين قالوا بعدم ألوهية المسيح وعدم التثليث ، ولكنه لم يفعل هذا بل ما فعله كان العكس . وفرض القول بألوهية المسيح على الحاضرين فرضا ، واستخدم في هذا قوة السيف ، وجبروت السلطان .

يقول الإمام أبو زهرة : " ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل في تكوين رأى الذين رأوا ألوهية المسيح، فلقد يروي أن أولئك الـ ٣١٨ لم يكونوا مجمعين علي القول بألوهية المسيح ،ولكن تحت الإغراء بالسلطة الذي قام به قسطنطين بدفعه شارة ملكه ليتحكموا في المملكة أجمعوا ... فأمضى أولئك ذلك القرار تحت سلطان الترهيب أو الترغيب أوهما معا، وبذلك قرروا ألوهية المسيح ، وقسروا الناس عليه بقوة السيف ورهبة الحكام " [٢].

وبهذا المجمع وبما صدر عنه من قرارات تم التثليث وعرفت أقانيمه ، وكان هذا المجمع بمثابة الميلاد الحقيقي لهذه العقيدة عند النصارى ، هذه العقيدة التي أنشاها بولس اليهودي ، وأقرتها المجامع النصرانية بموافقة بعضهم ومعارضة أكثرهم ، والدليل علي ذلك " أن الذين اتخذوا هذا القرار هم ممثلو كنيستي روما والإسكندرية ، وقد كانوا قلة بالنسبة للمجتمعين (٣١٨) في مقابل (١٧٣٠) أي أقل من سدس العدد الكلي وهو(٢٠٤٨) " .[٣]

وكانت هذه هي المرحلة الثانية التي انتشرت عن طريقها عقيدة التثليث والقول بألوهية المسيح .

---

١ – انظر : تيارات ومذاهب فكرية معاصرة . د يحيى ربيع صـ ١٠٩ .ط١ .١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م. بدون.

٢ – محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبو زهرة صـ ١٣٠ .

٣ – المسيح والمسيحية .د عبد الرحمن المركبي صـ ١٧٧ .

المبحث الثالث

موقف الفرق النصرانية من وحدانية الإله الواردة في الأناجيل.

بالرغم مما هو موجود في كتب النصارى من أن اعتقاد بني جنسهم هو التوحيد المثلث إلا أنه مع هذا " لم يخل مكان من عشاق الحقيقة ، ولم يخل زمان من عباد التوحيد ، عرفوا الحقيقة وأعلنوها ، ثم حاربوا في سبيلها ، وضحوا من أجلها بكل عزيز،حتى الحياة نفسها دفعوها ثمنًا لإظهار الحقيقة "[1].

نعم لقد حفظ التاريخ أن النصارى لم تتفق كلمتهم ، ولم يتوحد اعتقادهم في الوحدانية الثالوثية التي نسبها البعض إلى الله تعالى . فلقد نادى الموحدون منهم بوحدانية تامة من شوائب التثليث والتشخيص ، ودفعوا من أجلها الغالي والنفيس ؛ إلا أنهم لم يكونوا من حيث نقاء العقيدة وصفاء الاعتقاد على درجة واحدة ، فذهب بعضهم إلى التوحيد المطلق لله تعالى مقرين ببشرية عيسى رافضين المساواة بينه وبين الله تعالى . بينما ذهب البعض منهم إلى أن المسيح هو "ابن الله" ، لكنها بنوة ليست على حقيقتها ، وإنما هي بمعنى قرب الدرجة والمنزلة ، وعلى هذا ، فالمسيح في درجة متوسطة بين الله والبشر .

وذهب البعض الآخر إلى القول بالوحدانية المجردة من التثليث ، لكنه في نفس الوقت يقول بالمساواة التامة بين الأقانيم الثلاثة على اعتبار أنها واحد . وعلي هذا يكون مصطلح الأب ، والابن ، والروح القدس ما هو إلا تجليات أو ومظاهر ، أو أسماء أو ألقاب للإله الواحد .

وهذا هو رأي كل فريق مع ذكر معتقده في الوحدانية ، سواء في هذا قدامى النصارى ، أو المحدثين منهم .

أولاً : اعتقاد " أريوس " في الوحدانية .

يعد " أريوس " من أشهر وأقوى الذين دعوا إلى التوحيد المجرد في تاريخ النصرانية ، إن لم يكن أشهرهم على الإطلاق فلقد كان رأيه بمثابة الزلزال الذي هز أركان الكنيسة لتبنيها القول بألوهية المسيح . إلا أن الباحثين لم تتفق كلمتهم حول اعتقاده في الوحدانية :-

(١) فبينمايذهب معظم النصارى وعلى رأسهم القس " إلياس مقار " إلى أن أريوس " قد نادى بعدم مساواة الابن أو الروح القدس للأب ، إذ إن كليهما في نظره مخلوق من الأب ، وعلى هذا الأساس يكونان أقل منه ، وإن كان الأب قد جعلهما معًا مشابهين لطبيعته الإلهية ، كما أعطاهما المقام الأول بين الخليقة ، إذ خلقهما أولاً ، وفوض إليهما خلق بقية الخليقة والعالم وفداء البشرية بعد سقوطها ، ومن ثم خلق العالم وافتداه بواسطة الابن ، وهذا بدوره استخدام الروح القدس في الأعمال التي قام بها إتمامًا لمقاصد الله الأزلية "[2] .

فأريوس علي هذا يؤمن بوحدانية الله تعالى ، أما الابن والروح القدس فهما مخلوقان مميزان عن سائر الخليقة لمشابهتهما الطبيعة الإلهية ، فلقد خلق الله أول ما خلق الابن ، ثم عن

١ـ محمد مجدي مرجان . الله واحد أم ثالوث صـ ١٤٠ .

٢ـ إيماني أو القضايا المسيحية الكبرى. إلياس مقار صـ ٦٢ـ٦٣ . دار الثقافة القاهرة ط ٢ ١٩٧٨ .

طريقه خلق الخلق جميعًا ، ولقد استعان الابن بالروح القدس في الأعمال التي قام بها .

(٢) بينما يري الدكتور . محمد مجدي مرجان . بأن أريوس اعتقد في الوحدانية المجردة دون شائبة تذكر ، كما أنه اعتقد بأن الابن والروح القدس مخلوقان ، وليس لهما ما يتميزون به عن سائر المخلوقات الأخرى فيقول : " هذا أريوس يقرر أن الله وحده هو الإله الأصلي الواجب الوجود ، أما الابن والروح القدس فهما كائنات من خلق الله ، فيحكم عليه بالكفر والهرطقة ، ويتقرر قتله مع مشايعيه ، وهذا أوريجانوس يعلن أن الله روح لا يدركه الفهم وهو أعلى من أن يكون أوصافة شبيهة بإنسان وأن الله لا يجزاء أولا يحد ولا يحصى ، فيحكم عليه بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع أتباعه " [١] .

(٣) بينما يذهب الإمام الشهرستاني إلى أن أريوس بالرغم من أنه نادى بوحدانية الله تعالى، وأن المسيح مخلوق ، إلا أنه يؤخذ عليه تسمية الإله بالآب ، والمسيح بالكلمة ، أو الابن ، كما يؤخذ عليه قوله بخلق المسيح قبل خلق العالم ، وأنه خالق الأشياء . يقول الإمام الشهر ستاني : " زعم أريوس أن الله واحد سماه أبا ، وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء ، وهو مخلوق قبل خلق العالم ، وهو خالق الأشياء ، وزعم أن لله تعالى روحا مخلوقة أكبر من سائر الأرواح ، وأنها واسطة بين الأب والابن تؤدي إليه الوحي " [٢] .

وعلى هذا يمكن إيجاز موقف أريوس تجاه الوحدانية عند الإمام الشهرستاني فيما يلي :-

أولاً : نادى أريوس بوحدانية الله تعالى وحدانية مجردة ، وقد أطلق على الله اسم الآب .

ثانيًا : اعترف أريوس ببنوة عيسى لله ، لكنها ليست على حقيقتها ، وإنما تحمل على معنى الاصطفاء ، إذ أن عيسى ليس إلهًا ، بل هو مخلوق .

ثالثًا : يرى أريوس أن عيسى قد خلق قبل خلق العالم وهو خالق لجميع الأشياء .

رابعًا : الروح القدس ليس إلهًا ، وإنما مخلوق كواسطة بين الله والمسيح .

(٤) ويرى صاحب كتاب " عقائد النصارى الموحدين " أن أريوس قد نادى بالوحدانية المجردة ، أما المسيح عنده فما هو إلا كائن متوسط بين الإله والإنسان ، إذ يقول : " يمكن إيجاز موقف أريوس في قياس فحواه : أنه إذا كان الابن قد خلقه الله في زمان ، وإذا كان مع كونه شبه إله غير مساو للأب في الأزلية ، فالنتيجة إذن : أنه ليس بإله حقيقي ، وإنما هو كائن متوسط بين الله والإنسان وبهذا أسقط أريوس مبدأ تأليه المسيح ،وإن كان لم يعتبره مع ذلك مجرد إنسان بل كائناً أرقي علي شبه إله ، متجلياً في صورة بشر " [٣] .

ومعني هذا أن أريوس قد اعتنق الوحدانية المجردة ونادى بها ، والتف حوله كثير من الموحدين إلى الحد الذي أفزع النصارى المثلثين في ذلك الوقت ، وهذا باعتراف النصارى أنفسهم .

يقول صاحب كتاب فجر المسيحية : " ومنذ أوائل القرن الثالث برزت بقرنيها هرطقة

١ـ الله واحد أم ثالوث صـ ١٣٩ .

٢- الملل والنحل للشهرستاني. صـ ٢٧٢ .تحقيق أمير مهنا وزميله .دار المعرفة بيروت.١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

٣- عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية حسني يوسف الأطير صـ ٨٠ ط دار الأنصار . القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

أخرى، وكانت على الكنيسة أشد خطرا من سائر الهرطقات ، وذلك أن كاهنًا من كهنة الكنيسة في الإسكندرية يدعى أريوس أعلن جاهرًا على الملأ أن المسيح لم يكن إلهًا بل هو كائن وسط بين الله والإنسان . شبه إله ، خلق منذ البدء وهو ليس من جوهر الله ، ولم يكن أزلياً " (١) .

ولقد قدر للوحدانية المجردة أن تنتشر في ربوع العالم في أثناء حياة أريوس وبعد وفاته .

أما عن انتشارها في أثناء حياته ، فلقد ذاع صيتها حتى وصل إلى أسماع الإمبراطور قسطنطين وقتئذ يقول حبيب سعيد : " فشجر نزاع عنيف بين الأريوسيين وبين بقية الكنيسة ، وانتقل النزاع من مصر إلى غيرها من الأمصار ، وبلغ هذا النزاع أسماع الإمبراطور قسطنطين " (٢) .

وعن انتشار الوحدانية المجردة بعد وفاة أريوس في المجتمع النصراني بصفة عامة يقول حسني يوسف الأطير : " وقد قدر للأريوسية أن تنتشر بعد وفاة أريوس في سنة ٣٣٦م أكثر مما كانت أثناء حياته ، وأوشك العالم أن يكون كله أريوسيًا حسب قول الخصوم أنفسهم ، لولا تدخل الأباطرة في العمل على ضرب تلك العقيدة واستئصال متبعيها " (٣) .

ثانيًا : اعتقاد الأبيونية (٤) في الوحدانية :

تعد فرقة الأبيونية من أنقى الفرق اعتقادًا في الوحدانية المجردة ، فلقد اعتقد المنتسبون إليها أن الله واحد وحدانية مطلقة لا يشاركه في وحدانيته أحد ، كما انه ليس هناك واجب الوجود ، أو من يتصف بالأزلية سوى الإله سبحانه وتعالى . كما اعتقد الأبونيون ببشرية المسيح وولادته من أم بشرية ، ومن ثم فليس أزليًا ، كما أنه ليس له وجود سابق على ميلاده .

إلا أن بعض الثقات من القدماء يقرر أن الأبيونيين قد " انشقوا إلى فريقين بالنسبة إلى اعتبارهم لشخص المسيح :

فالفريق الأول : اعتبره مجرد إنسان ، نبي مولود ولادة طبيعية .

والفريق الآخر : كان يؤمن بميلاده الفائق ، ولكنهم رفضوا الإيمان بأزليته ووجوده السابق على الميلاد ، ومساواته الأب " (٥) .

ولقد كتب لهذه الطائفة أن تنتشر انتشارًا سريعًا بين النصارى إلى الحد الذي جعل النصارى المؤلهين لعيسى أن يحاولوا منع انتشار تعاليمها ، والوقوف لها بالمرصاد .

١- تاريخ المسيحية . فجر المسيحية. حبيب سعيد صـ ١٤٧ . ط دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ١٩٧٨م.

٢- المرجع السابق صـ ١٤٩ .

٣ - عقائد النصارى الموحدين صـ ٨٤ .

٤ ـ اختلف الباحثون في أصل هذه التسمية ، فقيل إنها نسبة إلى شخص يدعى " أبيون " ذكروا أنه ظهر بعد خراب أورشليم ، وعلم بأن المسيح لم يكن إلهًا ، بل كان إنسانًا ولد بالطبيعة من مريم ويوسف ... على أن هناك من الباحثين من يستضعف نسبتهم إلى شخص معين ، ويرى اشتقاق التسمية من الأصل العبري " أبيونيم " ، أو على نحو أدق " إيبونيم " ، وأنهم هم الأبيونيون أي الفقراء ، أو المساكين ، وأنهم ربما تسموا بها تبركًا بقول معلمهم " طوبى للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السماوات (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية صـ ٤٥ وما بعدها . حسني يوسف الأطير . عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية صـ ٤٥ وما بعدها) .

٥ـ المرجع السابق صـ ٥٠ .

بل هناك من يذهب إلى أن المثلثين من النصارى قاموا بإصدار إنجيل يوحنا خصيصًا لمواجهة تعاليم هذه الطائفة ، وتثبيت القول بألوهية المسيح . يقول أ. حسني يوسف الأطير : " ويرى كثير من المحدثين والمعاصرين أن تعاليم هذه الطائفة كانت من أقوى الأسباب الدافعة إلى تأليف ما يسمى بإنجيل يوحنا والرسائل معه ، وإن المؤلف إنما كان يستهدف هؤلاء بالرد تثبيتًا للقول بألوهية المسيح ، وقد أقر خصومها باتساع نفوذها ، حيث شمل فلسطين وسوريا وأسيا الصغرى ، وامتد إلى روما وإن زعموا أنها لجأت إلى القوة لفرض تعاليمها " (١) .

ثالثا : اعتقاد بولس السميساطي في الوحدانية :

يعد بولس السميساطي كذلك من أصحاب الاتجاهات النقية في الاعتقاد بالوحدانية المجردة، وذلك لما ذهب إليه من إنكار دعوى تأليه المسيح ، وبالتالي الإيمان بنقيض هذه الدعوى ، فهو يرى أن المسيح إنسان خلقه الله تعالى اشتهر بالاستقامة ، ففاز بسمو المنزلة عند الله تعالى ، وعند الناس. ولعل أفضل عرض لآراء بولس السميساطي هذا العرض الذي أورده القس " ابن كير " إذ يقول عن بولس وطائفته : " وهم الذي يؤمنون بأن الله إله واحد ، جوهر واحد ، أقنوم واحد ، ولا يسمونه بثلاثة أسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة أنها خالصة ، ولا أنها من جوهر الأب ، ولا يؤمنون بروح القدس المحيى ، ويقولون إن المسيح إنسان ، خلق من اللاهوت مثل خلق آدم كمثل واحد منا في جوهره ، وإن الابن ابتداؤه من مريم ، وأنه اصطفي بالموهبة ليكون مخلصًا للجوهر الإنسي ، وصحبته بعد ذلك النعمة الإلهية " (٢) .

فمن خلال عرض هذا القس : يتضح لنا أن اعتقاد بولس السميساطي في الوحدانية المجردة يمكن إيجازه فيما يلي :-

أولاً : أنه يؤمن بأن الله واحد غير متعدد الأقانيم أو الجواهر .

ثانيًا : أنه يرفض التثليث حتى ولو كان على اعتبار أن هذه الأقانيم أسماء الله تعالى .

ثالثا : لا يؤمن بولس السيمساطي بوجود الكلمة عل اعتبار أنها المخلصة ، أو أنها من جوهر الله .

رابعًا : يري أن المسيح مخلوق من مخلوقات الله شأنه كشأن آدم وغيره من البشر ، وقد ولد من مريم ، وكل ما يميزه عن باقي البشر أن الله اصطفاه عن غيره .

ويؤكد صاحب عقائد النصارى الموحدين هذا المعنى ، فيقول عن بولس السميساطي : " أنه كان يعتبر المسيح مجرد إنسان ، لأنه كان يعتقد اعتقادات وضيعة عن المسيح مخالفة لتعاليم الكنيسة ... وقد أنكر الكلمة بمعنى اللوغوس الواردة في الإنجيل الرابع من حيث إن لها كيانًا مستقلاً، وأنها الإله متجسدًا في شخص يسوع المسيح المولود من مريم "(٣) .

---

١ -المصدر السابق صـ ٥٢ ــ ٥٣ .
٢-المصدر السابق صـ ٦٠ .
٣ - المصدر السابق صـ ٥٧ .

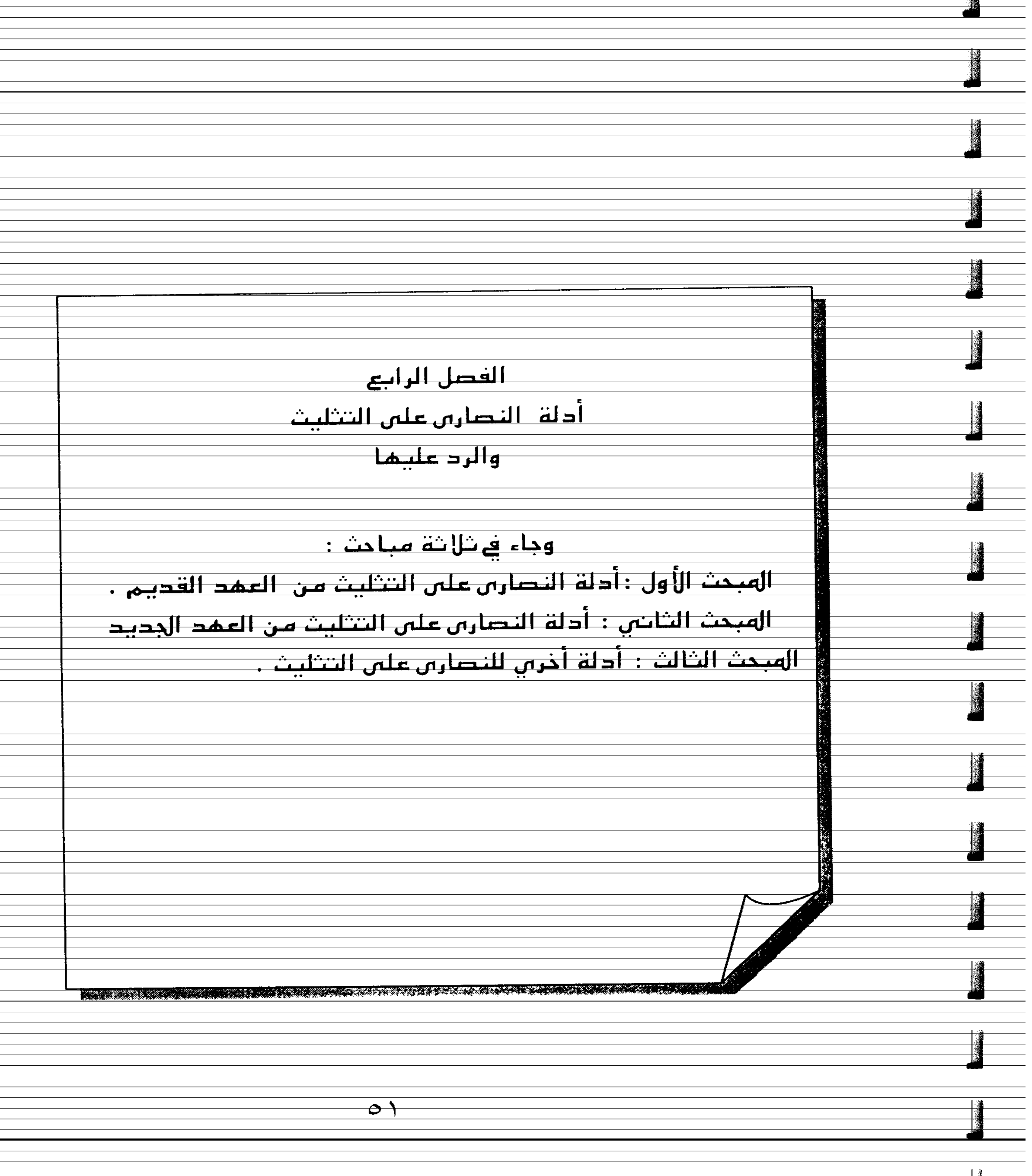
كما ظهرت فرق أخرى اعتنقت الوحدانية المجردة ، إلا أنها لم تكن على درجة النقاء التي اعتقد فيها الأربوسيون ، والأبيونيون ، وبولس السيمساطي . وكل هذا يؤكد أن هذه العقيدة لم تكن محل تسليم لدي جميع النصارى بل رفضها المخلصون منهم مما كان سببا في معارضة الكنيسة لهم واتهامهم بالزنادقة ، ودفع بعضهم حياته ثمناً لتمسكه بهذه العقيدة . ويؤكد ذلك أن إعلان الوحدانية المجردة في النصرانية لم يقتصر على القرون الأولى التالية لميلاد المسيح ، بل امتدت إلى القرن السادس عشر الميلادي .

" ففي أسبانيا يجهر المصلح الأسباني " سر فتيوس " برأيه في وحدانية الله وإنكار الثالوثية ، فيتقرر إحراقه حيا سنة ١٥٥٣ م "[١] .

وبهذا يتضح أن النصارى لم تتفق كلمتهم ، ولم يتوحد رأيهم عبر الأزمان تجاه الوحدانية الثالوثية ، فخرج منهم من نادى بالوحدانية المطلقة لله رب العالمين معترفين ببشرية المسيح عليه السلام .

---

١ - الله واحد أم ثالوث .صـ١٤٠ .



الفصل الرابع
أدلة النصارى على التثليث
والرد عليها

وجاء في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أدلة النصارى على التثليث من العهد القديم .

المبحث الثاني : أدلة النصارى على التثليث من العهد الجديد

المبحث الثالث : أدلة أخري للنصارى على التثليث .

المبحث الأول : أدلة النصارى على التثليث من العهد القديم والرد عليها [١]

من الطبيعي ونحن نتحدث عن أهم عقائد النصرانية ، أي التثليث أن نجد ما يؤصله في عشرات النصوص الواردة على لسان الأنبياء ثم المسيح ثم تلاميذه من بعده. لكن الأمر خلاف ذلك.

فالمتصفح لما بين دفتي الكتاب المقدس الموجود بين أيديهم يكشف لنا غياب الدليل الصريح الذي نبحث عنه، في العهد القديم، وأيضاً في العهد الجديد وهذا متوقع . ومع هذا حاول مؤسسو اللاهوت المسيحي أن يقيموا أدلة على إثبات التثليث وهذه الأدلة بالطبع لابد وأن تكون من الكتاب المقدس حتى يتسنى للناس قبولها والتسليم بها دون اعتراض علي اعتبار أن هذه العقيدة خارج حدود العقل فكيف له أن يستدل عليها؟ لذا جاءت أدلتهم متنوعة ، بعضها ورد في العهد القديم ، والبعض الأخر جاء في العهد الجديد - على حد زعمهم - ولم يقف الأمر عند هذا بل زعم النصارى أن القرآن الكريم فيه ما يشهد علي صدق ما يعتقدونه وصحته .وعلي ما أري أن الذي دفعهم إلى هذا أن عقيدة التثليث عقيدة واهية لا تصمد أمام أدني نقد لذا حاول أنصارها إثباتها بدلائل متعددة رغبة منهم في إضفاء القداسة عليها .

وكان أول ما بحثوا فيه العهد القديم علي اعتبار أنه يعد من جملة الكتاب المقدس الذي يؤمنون به والذي جاء المسيح ﷺ بالتأكيد على أتباعه وعدم نقضه .

ولكن كل من يطالع العهد القديم الموجود بين أيديهم يجده خاليا من مجرد التلميح أو الإشارة فضلا عن التصريح أو العبارة ما يؤيد القول بالتثليث ، فما كان منهم إلا أن تأولوا نصوصه وحملوها مالا تحتمل رغبة منهم في إيجاد مبرر لما يعتقدونه ، علي الرغم من اعتراف النصارى بأنه لا يوجد في هذه النصوص ما نستطيع أن نعتبره دليلاً صريحاً على التثليث الذي تنقضه النصوص التوحيدية الصريحة. وفيما يلي عرض لبعض هذه الشبه التي هي من وجهة نظرهم أدلة :

الدليل الأول :

ما جاء بصيغة الجمع في سفر التكوين في الإصحاح الأول منه " في البدء خلق الله السماوات والأرض" [٢]. ووجه الاستدلال بهذا النص " أن اسم الله " ألوهيم " في الأصل العبراني بصيغة الجمع، وهكذا هو حيثما ورد " [٣].

ويقول القس الياس مقار : " إن لفظ ألوهيم الذي ورد في العهد القديم ألفي مرة يشير بجلاء إلى التثليث الذي اتضح بالتدريج في الإعلانات الإلهية عن الله الواحد الأحد ، حتى أشرق نوره تماما في العهد الجديد " [٤].

---

١ - هذه الأدلة التي تمسك بها النصارى هي أدلة من وجهة نظرهم إلا أنها من وجهة نظر المسلمين شبه فهي لا تصمد أمام النقد.

٢ - سفر التكوين : ١ / ٢٦ .

٣ - انظر: برهان يتطلب قراراً جوش مكدويل صـ ٤٢٥ نقلاً عن موقف ابن تيمية من النصرانية د. مريم عبد الرحمن عبد الله جـ٢ صـ٥٦٠ ـ٥٦١ .مطابع جامعة أم القرى ١٤١٦هـ ١٩٩٧م .

٤ - إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى . الياس مقار صـ٦٩ .

كما جاء فيه أيضاً " نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " [1]. و جاء أيضاً " هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض " [2] .

ووجه الاستدلال بهذه النصوص : أن الله تعالى تحدث عن نفسه بضمير الجمع ، فضمير الجمع في النصوص السابقة إعلان عن التثليث عند النصارى ، بمعنى أن الله لم يتكلم بهذا الضمير إلا باعتباره ثلاثة ولو كان واحداً لما قال ذلك ، ويكفي تدليلاً علي ذلك ما ذكره رجال النصرانية يقول القس موسى وهبة مينا : صيغة المتكلم التي وردت في النصوص السابقة لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء عقيدة الثالوث وليس في ذلك قسراً أو إقحاماً للتثليث ، ولكن الشواهد تؤيد صدق هذا الرأي [3].

ويقول " الأنبا ساوريس " : " ليس أوضح من هذا الكلام ولا أبين منه ، إن الآب الإله قال للابن والروح القدس اللذين هما أزليان معه ، لنخلق إنساناً كصورتنا وشبهنا ، فقد حقق الكتاب أن الابن مع الآب أزلي بعد ذلك بقوله خلق الإنسان كصورة الله ابنه التي فيها يظهر متجسدا ، وفي هذا القول حقق أنه شبه ثالوثه " [4].

ويمكن دفع هذا الدليل على النحو التالي : إن النصارى أساءوا فهم ضمير الجمع في تلك الفقرات التي يستدلون بها ذلك أن ثمة نوعين من الجمع في اللغة العبرية– للغة التي كتبت بها أصلا نصوص العهد القديم– كما هو الحال بالنسبة للغة العربية ، فهناك جمع للعدد ، وهناك جمع للإجلال والتعظيم ، وليسألوا أي يهودي يجيد اللغة العبرية ، كم عدد الآلهة في ضمير المتكلم " نعمل " بلغته العربية ، حيث ورد في أول إصحاح من توراته وسوف نؤكد بدون تردد أن هذا الجمع لا يعنى سوى متكلما واحدا [5] .

ثم إن الجمع الوارد في مثل قوله : " ألوهيم، هلم، ننزل، ونبلبل " هو جمع تعظيم لا يفيد الكثرة ،ومن أولي بالتعظيم والتفخيم من الله تعالى ، وقد اعتادت الأمم التعبير عن عظمائها باستخدام جمع التعظيم، فيقول الواحد: نحن، ورأينا، وأمرنا، ومقصده نفسه، ولا يفهم منه مستمع أنه يتحدث عن ذاته وأقانيمه الأخرى . فضلاً عن هذا فاستخدام صيغة الجمع للتعظيم لا العدد معروف حتى في الكتاب المقدس ، وله صور منها قصة المرأة العرافة التي رأت روح صموئيل بعد وفاته ، فعبرت عنه باستخدام صيغة الجمع ، تقول التوراة : " فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم .. فقالت المرأة لشاول : رأيت آلهة يصعدون من الأرض ، فقال لها : ما هي

---

١ – سفر التكوين : ١ / ٢٦ .

٢ – سفر التكوين : ١١ / ٧ .

٣ – انظر: بالحقيقية نؤمن بإله واحد جـ ١ صـ القس موسى وهبة مينا .ه مطبعة مدارس الأحد شبرا .

٤– انظر: الدر الثمين في إيضاح الدين : للأنبا ساو ريس صـ ١٦ ط سنة ١٩٧٨ – القاهرة

٥ – انظر:أساقفة كنيسة انجلترا وألوهية المسيح للأستاذ أحمد ديدات صـ ١٠ ، ١١ . ترجمة محمد مختار ط المختار الإسلامي القاهرة .

صورته ؟ فقالت : رجل شيخ صاعد، وهو مغطي بجبّة. فعلم شاو ل أنه صموئيل" [١].

فقد كانت تتحدث عن صموئيل، لقد رأته على هيئة رجل شيخ، وتستخدم مع ذلك صيغة الجمع (آلهة)، فالجمع لا يفيد العدد بالضرورة، بل هو جمع التعظيم. فضلاً عن هذا فإن المتأمل في العهد القديم يجد به مئات الأقوال الواردة بصيغة الإفراد فلماذا أخذ هذه اللفظة وترك بقية الألفاظ الأخرى؟ .

الدليل الثاني :

ما جاء في سفر الخروج " أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب " [٢].

ووجه الاستدلال بهذا النص كما يقول صاحب كتاب " الدر الثمين " : إن الله لم يقل أنا إله إبراهيم و إسحاق ويعقوب ، بل كرر اسم الإله ثلاث مرات ليحقق مساوات الثلاثة أقانيم في اللاهوت " [٣].

و جاء في سفر العدد : " وكلمه الرب موسى قائلا كلم هارون وبنيه قائلا : هكذا تباركون بنى إسرائيل قائلين لهم ، يباركك الرب ويحرسك ، يضئ الرب بوجهه عليك ويرحمك ، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاما " [٤].

ووجه الاستدلال بهذا النص كما يقول مفيد كامل : فتكرار كلمة الرب هنا ثلاث مرات مع افتراق ذكرها بأعمال إلهية خاصة يدلنا أولا على التثليث الأقنومى في جوهر اللاهوت ، ويدلنا ثانيا على طبيعة عمل الأقانيم [٥]. فتكرار اللفظ يشير إلى أن الله مثلث الأقانيم .

وللرد على هذا الدليل أقول :

الواقع أن هذا الاحتجاج في غير محله فالاستشهاد بهذه الشبهة على الأقانيم الثلاثة من أفسد الأشياء وذلك لما يلي :

أننا لو فهمنا هذه النصوص التي تكرر لفظ الرب والإله بفهم النصارى لقررنا في النهاية أن الآلهة أكثر من ثلاثة ، لأن النص يقول :"أنا إله أبيك إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب " [٦].

فهل يا ترى أن الله هو إله هؤلاء الثلاثة فقط إن لم يكن فهو كذلك إله آدم ونوح وإسماعيل وموسى ومحمد ، وهذا القول يلزم منه أن لكل نبي إلها ، وتتعدد الآلهة بتعدد الأنبياء والرسل وهذا أمر واضح البطلان .

وعلي هذا فإن ما فسر به النصارى كلام الأنبياء من إثبات الأقانيم الثلاثة كذب صريح عليهم ، كقـولهم إلـه إبـراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب ، أرادوا به إثبات ثلاثة آلهة فإن هذا مما يعلم

---

١ – صموئيل (١) ٢٨ /١٢: ١٤.
٢ – سفر الخروج . ٦/٣
٣ – الدر الثمين في إيضاح الدين . الأنبا ساو يرس صـ ١٦٥.
٤ – سفر: العدد ٢١/٦ــ ٢٢
٥ – الثالوث . مفيد كامل صـ ٨٣
٦ – سفر الخروج . ٣ / ٦ .

بالـضرورة ضلالهم فيه ، وافتراءهم على الأنبياء إذ يعلم أن إله الثلاثة إله واحد وهو الله فليس إله إبراهيم غير إله إسحاق ويعقوب حتى لو قيل بالأقانيم فلا يقول عاقل : إن أحد الأقانيم إله هذا والأقنوم الآخر إله الآخر فإن هذا لم يقله أحد من العقلاء ، لا النصارى ولا غيرهم (١).

ويذكـر فى موضع آخر : إنه لو أريد بلفظ الإله أقنوم الوجود ، وبلفظ الإله مرة ثانية أقنوم الكلمـة ، وبالثالث أقنوم الحياة لكان الأقنوم الواحد إله إبراهيم ، والأقنوم الثاني إله إسحاق ، والأقنوم الـثالث إله يعقوب ، فيكون كل من الأقانيم الثلاثة إله أحد الأنبياء الثلاثة والأقنومين ليسا بإلهين له ، وهذا كفر عندهم وعند جميع أهل الملك ، وأيضا فيلزم من ذلك أن يكون الآلهة الثلاثة ثلاثة وهم يقولون إله واحد .(٢)

الدليل الثالث : ما يعرف بالتقديس المثلث ، فأشعياء النبي رأى الملائكة يسبحون الله بثلاث تقديسات فقد جاء في سفره " وهذا نادى ذاك وقال : قدوس ، قدوس ، قدوس ، رب الجنود مجده ملئ كل الأرض " (٣) .

ولهذا نري الله المثلث التقديس المثلث الأقانيم نادى قائلا بصيغة الجمع من أرسل ومن يذهب من أجلنا ، فقال أشعياء أنذا أرسلني وهذا يعنى : أن تقديس الملائكة لله ثلاث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سر لتقديسهم الأقانيم الإلهية الثلاثة (٤)..

ويمكن الرد على هذا الدليل علي النحو التالي فأقول : بأن النصارى استدلوا على التثليث من العهد القديم بما ورد فيه من تكرار لفظ قدوس ثلاث مرات وقالوا هذا يدل على التثليث نقول إن هذا القول كسابقيه لا يدل على التثليث ولكن يدل على تكرار التسبيح .

يقول ابن تيمية : فنصب التقديس على المصدر كما تقول سبحتك تسبيحا مثلثا ، أي سبحتك ثلاث مرات ، وقال نثلث لك أي تثليث تقديسا لك لم يقل أنت ثلاثة بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدسون التقديس المثلث وهم يثلثون له وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات لا يسبحون ثلاثة آله ولا ثلاثة أقانيم .[٥].

هذه بعض الأدلة التي حاول النصارى الاستدلال بها علي عقيدة التثليث وهي كما نري ليس فيها ما يتمسكون به فقد خلت من أي إشارة لهذه العقيدة سواء أكان ذلك عن طريق التصريح أم التلميح . كما بان أنها أدلة واهية وذلك واضح من خلال رد العلماء عليها.

---

١ – انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية جـ٢ صـ ٢٣١ . ط المدني القاهرة .

٢ – نفس المصدر –٢/ ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

٣ – سفر أشعياء . ٦/٣

٤ – انظر: الثالوث :مقيد كامل صـ ٨٣. ط الكلية الإكلايكية القاهرة .

٥– انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية جـ ٢ صـ ٢٣١ وما بعدها.

المبحث الثاني : أدلة النصارى على التثليث من العهد الجديد

يعتقد النصارى أن ثمة أدلة على التثليث في أسفار العهد الجديد الموجودة بين أيديهم أوضح من تلك التي وردت في التوراة ، مع أن الواقع خلاف ذلك فليس للنصارى دليل على التثليث يستطيعون أن يظهروه مطلقاً ، فقد فرض عليهم التثليث بوساطة المجمع القسطنطيني ، ولا يوجد لديهم في الأناجيل التي يتعبدون بها على الرغم مما اعتراها من تحريف وتبديل إلا ما يدل على التوحيد الحقيقي ، ولكن هناك قولاً في يوحنا وقولاً في مرقس ، يتخذونهما دليلاً على التثليث وهما :

الدليل الأول :

ما جاء في رسائل يوحنا : " فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب ، والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة في الواحد "[1] .

ويمكن الرد علي هذاالدليل : بأننا لا نجد انسجاماً في هذا القول ؛ بل انظر عزيزي القارئ إلى تفكك المعنى ، وركاكة الأسلوب ، فضلاً عن العلاقة المعدومة بين هؤلاء الشهداء في السماء ، وهؤلاء الشهداء في الأرض .

إن الفقرة التي تشير إلى التثليث في الكلام السابق يشهد بتحريفها علماؤهم المشهورون ، وإن جمهور علماء البروتستانت يقولون إن هذه الجملة " في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض" الحاقية محرفة ، ويشهد بذلك "هورن" وهو العالم المسيحي المشهور بتعصبه الديني ، كما يشهد بتحريفها جامعوا تفسير " هنرى وإسكات" وتفسير " آدم كلارك" وكذلك يميل بإلحاقيتها " اكستاين" أعظم علماء أهل التثليث في القرن الرابع للميلاد وكثيرون غيره "[2] .

فهذا النص صريح في جعل الثلاثة إلهاً واحداً، إلا أنه غير موجود في سائر المخطوطات القديمة للكتاب المقدس، بل وغير موجود حتى في أول نص مطبوع، فقد أضيف لاحقاً، وقد اعترف بإضافته علماء النصرانية ومحققوها كما أشرنا من قبل .

ولقد لخص العلامة رحمت الله الهندي – عن جامعي تفسير " هنرى وإسكات "– الأدلة التي يأخذ بها "هورن" وغيره في كون هذه العبارة دخيلة على الإنجيل وهذه الأدلة هي :

أولاً : إن هذه العبارة لا توجد في نسخة من النسخ اليونانية التي كتبت قبل القرن السادس عشر .

ثانياً : إنها لا توجد في النسخ المعتبرة قديماً والتي طبعت بعناية .

ثالثاً : إنها لا توجد في أي ترجمة من التراجم القديمة غير اللاتينية .

رابعاً : إنها لا توجد في معظم النسخ القديمة اللاتينية أيضاً .

---

١ – رسائل يوحنا الرسالة الأولى ٥/ ٧ : ٩ .

٢– إظهار الحق ، للشيخ رحمت الله الهندي ٢ / ٤٩٧ ــ ٤٩٨ .

خامساً : إنها لم يتمسك بها أحد من القدماء ومؤرخي الكنيسة .

سادساً : إن أئمة البروتستانت وعلماءهم أسقطوها من كتبهم ، ووضع بعضهم عليها علامة الشك [١] .

وعلى هذا نلحظ غرابة هذه الرواية التي ذكرها " يوحنا " بشهادة النصارى أنفسهم وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأساس الذي بنوا عليه هذه العقيدة مطعون فيه ، فكيف تكون هذه العقيدة ، عقيدة معترف بها ومسلم بها من قبل الأغلبية من النصارى اللهم إلا إذا كانت عقولهم بعيدة عن الفهم والإدراك.

الدليل الثاني :

ما جاء في إنجيل متى : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " [٢] .

يقول متى هنرى : وذكر الثلاثة أقانيم في الثالوث المقدس سواء أكان في المعمودية كما هنا أم في البركة الرسولية كما جاء في إحدى رسائل بولس ، هو برهان قوى على عقيدة الثالوث ، وهو أيضا قد حفظها سليمة وكاملة في كل عصور الكنيسة ، لأنه لاشيء أعظم من الاجتماعات المسيحية من هذه العقيدة [٣].

أما عن الرد على ما استدل به متى في عباراته : والتي يقول فيها " عمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس " . فهذا الاستدلال باطل للوجوه الآتية :

أولا : إن هذه العبارة لا تفيد أدنى دلالة على التثليث بمفهوم النصرانية ، بل إنها تشير إلى تكليف التلاميذ بتعليم أبناء الأمم ، معرفة الأب وهو الرب الواحد الأحد الذي لا شريك له لأن معنى الأب هو الله ، ومعرفة الابن أي المسيح بمعناه الذي حدده هو عن نفسه بالرسالة أو التعليم من الله ، وباسم الروح القدس أي معرفة الوحي الذي أنــزل على عيسى ، وعلى من كان قبله من الأنبياء والمرسلين ، بل إن كلمة أقنوم لا توجد إطلاقاً ، في جميع أسفار الكتاب المقدس [٤].

ثانيا : أن الاعتماد يأتي بمعنى الوثوق والتسليم والتصديق بالمسيح وبما جاء به ، ويؤيد هذا رواية إنجيل مر قس : " وقال لهم : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يُدن " [٥].

ثالثا : العطف يقتضى المغايرة والمشاركة للمعطوف عليه في الحكم ، فإذا قلنا جاء محمد وعمر وخالد ، تبين أن عمراً وخالداً شاركا محمداً في المجيء حقيقة ، وأنهما غيره ، كما أن خالداً غير عمر .

١ــ السابق : ٢ / ٤٩٩ .

٢ ــ متى : ٢٨ / ١٩ .

٣ - انظر: تفسير انجيل متى : متى هنري : ٢ / ٥٤٦ .

٤- النصرانية والإسلام للمستشار. محمد عزت الطهطاوي صــ ٤٣ - ٤٤ ، ط . مكتبة النور بمصر الجديدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هــ . ١٩٨٧م .

٥- مر قس. ١٦ / ١٥ - ١٦ .

فذكر الابن والروح القدس مع الأب في التعميد باسمها يدل على مشاركتهما للأب في هذا الطلب فقط دون المشاركة في الإلهية وسائر الصفات ، عبرة في الاشتراك أن يذكر الاسم مفرداً أو جمعاً ، مضافاً إلى أحدهم أو إلى كل واحد منهم ، لأن هذا الاشتراك لا ينفي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ولا يدل على صيرورتهما شيئاً واحداً [1] .

وعلى كل ، فإن هذه العبارة على فرض صحتها لا تشير إلى التثليث المزعوم بأي حال من الأحوال فهي صريحة في تغاير هؤلاء الثلاثة ، وأن كل اسم من هذه الأسماء الثلاثة اسم لذات مغايرة للذاتيين الأخريين ، ولا يصح في العقول جعل الثلاثة ذاتاً واحدة ،لما يلزمه من مستحيلات عقلية كثيرة .

رابعا : هذه العبارة فيها تضارب كثير في حقيقة ألفاظها بين الأناجيل ، والإطلاع عليها كاف للشك فيها ، لأن أصلها في إنجيل متى : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس " [2].

وأصلها في إنجيل مر قس وقال لهم : " اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن " [3] .

وأصلها في إنجيل لوقا : " وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم " [4]. .

فعبارة " عمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس " انفرد بها متى ، وذكر لوقا ومر قس لفظ الكرز الذي هو التبشير والوعظ " [5].

خامسا : إن صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الأب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل ، وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به لو أنها عن المسيح شخصيا [6].

سادسا : وعلى فرض صحة هذا النص فإنه قابل للتأويل المقصود من التعميد باسم الثلاثة هو التبرك بذكر اسم الله لأنه الرب الخالق ثم اسم عيسى لأنه نبي ورسول ثم اسم الروح القدس لأنه الواسطة بين الإله والرسول .

سابعا: أن هذه الفقرة رغم أهميتها لم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى التي اتفقت على إيراد قصة دخول المسيح أورشليم راكباً على جحش. فهل كان ركوبه على جحش أهم من ذكر التثليث، فلم يذكره سوى متى ؟ بل إن خاتمة إنجيل مر قس حين نقلت ذات الوصية التي أوصاها للتلاميذ لم تذكر صيغة التثليث التي انفرد بذكرها متى، حيث يقول مرقس : " وقال لهم : اذهبوا إلى

٤- انظر: بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ . في نصوص كتب العهدين . د . محمد أحمد عبد القادر صـــ ٧٠ .ط الفرزدق التجارية بالسعودية ط ١ . ١٤١٣هـــ ١٩٩٣م .

٢- متى . ٢٨ / ١٩ .

٣ - مر قس. ١٦ / ١٥ ، ١٦ .

٤- لوقا : ٢٤ : ٤٧ .

٥ - بشرية المسيح ونبوة محمد -ﷺ صـــ٧٠ .

٦ - انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية : مهندس . أحمد عبد الوهاب صـــ ٦١ ط مكتبة وهبة – القاهرة ط٢ ١٤٠٨ هـــ ١٩٨٨ م .

العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن" [1].

وهذا دال على إلحاقية نص التثليث وعدم أصالتها. فهذه الفقرة دخيلة بدليل قول علماء الغرب أيضاً. يقول ويلز: ليس دليلاً على أن حواريي المسيح اعتنقوا التثليث. ويقول أدولف هرنك: "صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الآب ، والابن ، والروح القدس، غريب ذكرها على لسان المسيح، ولم يكن لها وجود في عصر الرسل ... كذلك لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم النصرانية ما يتكلم به المسيح وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، إن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا، إذ هو لم يستشهد بقول ينسبه للمسيح يحض على نشر النصرانية بين الأمم [2].

ثامنا : هذا النص كثيراً ما يستشهد به المسيحيون ، دون أن يدققوا النظر في مصداقيته وقانونيته فهذه العبارة : " الآب والابن والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد" قد تم حذفها في كثير من الطبعات بعدما تبين أنها أقحمت على الأصل اليوناني الذي ترجمت منه كل طبعات الكتاب المقدس وثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا النص دخيل وغير موجود في الأصول المعول عليها ، كما قرر ذلك الكثير من العلماء اللاهوتيين القائمين على وضع التراجم

وإلي جانب هذين النصين تأول النصارى بعض النصوص وحملوها ما لا تتحمله رغبة منهم في إقناع الناس بها ، ولكن كيف يقتنع الناس بعقيدة تتناقض مع العقل وتتجافي مع الفطرة ؟ ومن بين هذه النصوص

الدليل الثالث : ما جاء في إحدى رسائل بولس عن البركة الرسولية ما نصه " نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين " (٣) .

فهذا النص يستخلص منه النصارى برهاناً دالاً على صحة التثليث وتساوي الأقانيم الثلاثة ويمكن الرد علي هذا الدليل من خلال ما يلي :

أولا : إن القائل للعبارة السابقة هو بولس الذي لم ير المسيح ، ولم يتتلمذ على يديه ، بل كان شديد العداوة له ولأتباعه ، وحتى بعد زعمه الانضواء تحت لواء النصرانية ، فإنه ليس معصوماً من الخطأ حتى تأخذ أقواله حجة .

ثانيًا : إن هذه العبارة يختم بها بولس رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ، وهي في الحقيقة جملة دعائية يتمنى فيها قائلها وهو بولس أن يديم الله عليهم نعمة الرسالة التي جاء بها المسيح ومحبة الله ومشاركة روح القدس في تأييدهم ، وليس فيها ما يدل علي التثليث لا نصا ولا ظاهرا.

ثالثا : إن عبارة بولس السابق الإشارة إليها مبنية على الاعتقاد بالثالوث وليس الاعتقاد بالثالوث صادراً عنها وعن أمثالها ،لما هو معروف من أن التثليث قد تقرر بموجب مجمع

١- مرقس ١٦/١٥ . ١٦ .

٢- سلسلة الهدى والنور (٣) الله جل جلاله واحـــد أم ثلاثـــة ؟ د. منقذ بن محمود السقا ر . صـ٨٧ بدون .

٣ - رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كونثوس : ١٣ / ١٤ .

عقد في الربع الأول من القرن الرابع الميلادي

رابعًا : إن لفظ (الرب) الوارد ذكره في عبارة بولس سالفة الذكر ليس معناه الإله الحقيقي حتى يكون ثاني الأقانيم الثلاثة بل معناه : (المعلم) كما ورد في إنجيل يوحنا على لسان المسيح بقوله : " فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لها ماذا تطلبان ؟ فقالا : ربي ، الذي تفسيره يا معلم أين تمكث " [1].

وجاء أيضا ما نصه : " قال لها يسوع : يا مريم ، فالتفتت تلك ، وقالت له : (ربوني) الذي تفسيره يا معلم . " [2] .

خامسًا : إن لفظ (يسوع) الوارد في قول بولس السابق الإشارة إليه ليس اسماً للأقنوم اللاهوتي بل هو اسم للناسوت أي أنه اسم للطبيعة الإنسانية .

سادسًا : كذلك لفظ (المسيح) الوارد في النص المذكور هو أيضاً اسم للنا سو ت لأنه سمي مسيحاً لكون الله تعالى مسحه بالروح القدس ، طبقاً لما هو وارد في سفر أعمال الرسل [3].

ومما لا جدال فيه أن من يحتاج أن يمسح بالروح القدس هو الناسوت ، أي المسمى بالإنسان المركب من جسم وروح مخلوقين ، أما أقنوم الابن فغني عن المسح لأنه ليس أقل من الأقنوم الثالث حتى يمسح به .

سابعًا : إن لفظ الروح القدس في قول بولس ليس معناه الإله حتى يكون الأقنوم الثالث ، بل يعني الموهبة القدسية ، وهي الوارد ذكرها في الأسفار الآتية :

١ - سفر حزقيال : " وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل في داخلكم روحاً جديداً " [4] .

٢ - سفر الملوك الثاني : " فقال اليشع ليكن نصيب اثنين من روحك علي" [5].

وهذه الروح هي التي امتلأ منها الآتي ذكرهم :

أ - يوحنا المعمدان كما هو وارد في إنجيل لوقا : " ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس " [6].

ب - كما امتلأ زكريا أبوه من الروح القدس طبقاً لما ذكره إنجيل لوقا [7] ، وغير هذا كثير .

فما قاله بولس ليس من البراهين على صحة التثليث ولا على تساوي الأقانيم الثلاثة ، وليس فيها ذكر للأقانيم الثلاثة . وأما المسيح فإنما ذكر بمعنى الإنسان الاعتيادي . وأما لفظ الروح القدس فقد ذكر بمعنى الموهبة القدسية للعلة وطبقاً للنقول السابقة الإشارة إليها [8] .

---

١ - يوحنا . ١ / ٣٨.
٢ - يوحنا ٢٠ / ١٦.
٣- أعمال الرسل./١٠ ٣٨.
٤ - حزقيال ١١/ ١٩ .
٥ - الملوك الثاني ٢ / ٩ .
٦ - لوقا ١/ ١٥.
٧ - لوقا ١ / ٦٧ .
٨ - البيان بما في عقيدة النصارى من تحريف وبهتان . خطاب المصري . khatap٧@hotmail.com، و أبو هادى Truth_Gate ، وانظر: أديان العالم .حبيب سعيد صـ ٢٨٦ .

هذه بعض الأدلة التي حاول النصارى الاستدلال بها علي عقيدة التثليث وذلك من خلال الأناجيل إلا أنها هي الأخرى ليس فيها ما يؤيد مدَعاهم. فقد خلت من أي إشارة لهذه العقيدة سواء أكان ذلك عن طريق التصريح أم التلميح. فضلاً عن هذا جاءت هذه الأدلة واهية .

وبذلك نكون قد عرضنا لأدلة النصارى على القول بالتثليث من العهدين القديم والجديد ، وبان لنا بطلانها ،ولم يبق لنا إلا الوقوف على استدلالهم من القرآن الكريم وبيان خطأ ما يتمسكون به.

المبحث الثالث : أدلة أخرى على التثليث

كما أول النصارى نصوص كل من العهد القديم والعهد الجديد وذلك رغبة منهم في تأييد مدعاهم تأولوا بعض آيات القرآن الكريم زاعمين أنه يشهد لها .. وفيما يلي عرض لبعض هذه الأدلة:

الدليل الأول :

وفيه يقول أ . حبيب سعيد : وما أشد الشبه بين البسملة الإسلامية "بسم الله الرحمن الرحيم" بالبسملة المسيحية "بسم الآب والابن والروح القدس" [١].

ويمكن رد هذا الدليل وبيان بطلانه على النحو التالي : فأقول إن زعم النصارى أن البسملة تؤيد قولهم بالتثليث ، قول باطل ، كما أنه استشهاد في غير محله ذلك لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه الذات الموصوفة بكل صفات الكمال ، ونعوت الجلال والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته فإن صفات الله منها سلبية نحو الأزلي أي لا أول له ، ومنها ثبوتية قائمة بذاته وهي سبع ، ومنها فعلية خارجة عن ذاته تعالى يستحيل قيامه به نحو الرازق والخلق والإحسان [٢].

فضلاً عن هذا لو سلمنا بهذا الرأي فإنه يمكن الاستدلال من القرآن ليس فقط على التثليث بل أيضا على التسبيع ، ووجود سبعة آلهة وليس ثلاثة وذلك بما جاء في أول سورة غافر ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝ ﴾ [٣] .

بل يمكن أيضا أن يجرفنا الزيغ والضلال فنقرر أن القرآن يثبت وجود سبعة عشر إلها وذلك بما جاء في آخر سورة الحشر التي ورد بها سبعة عشر اسما وصفة من الصفات الإلهية والتي لا يحصيها بيان [٤] .

---

١ - انظر: أديان العالم .حبيب سعيد صـ ٢٨٦.
٢ - انظر: الأجوبة الفاخرة للإمام القرافي صـ ١٣٧ تحقيق د. بكر زكي عوض.ط ١٩٨٦ م.
٣ - سورة غافر الآيات ١: ٣.
٤ - انظر: الله واحد أم ثالوث د . محمد مجدي مرجان ٥٣ ــ ٥٤ .

الدليل الثاني:

كذلك استدل القمص باسيلسوس اسحق على القول بالتثليث في القرآن الكريم بقول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴾ [١]

فالله في هذه الآية لم يقل بكلمة منه اسمها بل قال اسمه بيد أن الكلمة مؤنث وإذن فالهاءلا تعود على الكلمة ، وبذلك يكون القرآن الكريم قد قصد بالكلمة شيئا له قيمته في ذاته وهو المسيح عيسى بن مريم [٢] .

الرد على هذه الدليل: وهذا الدليل أيضاً إيراده في غير محله. ويرد على ذلك صاحب تفسير المنار فيقول : لقد ذكر الضمير ولم يؤنث لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى فلان ، وإنما هي البشارة ، فذكرت كنايتها كما تذكر كناية الدابة والألقاب . [٣]

وهكذا نرى أن صاحب هذا الرد قد اعتمد في رده على جهل الكتاب المسيحيين باللغة العربية ودقائقها .

الدليل الثالث :

وهى لنفس القمص فنراه يزعم أن قول الله تعالى في سورة المؤمنون ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [٤] يشير لهذا التعدد فيقول :

وهنا نسأل إذا كان الخالق واحدا فكيف يكون أحس الخالقين إذن إلا إذا قورن بغيره ممن لهم القدرة على الخلق ؟

ثم يذكر وإذا كان القرآن الكريم في قوله عن الله ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ لا يشير إلى تعدد الآلهة فما الذي يشير إليه إذن ؟ إن نسبة جمع المذكر السالم في القرآن إلى الله يدل على أمرين :

إلى تعدد الآلهة وهذا هو الشرك بالله لأن الجمع هو ما زاد على اثنين .

أو إلى تعدد الأقانيم في الإله الواحد ، وهو التثليث عند المسيحيين .

وإذا لم يكن لا هذا ولا ذاك ،فقولوا لنا ماذا كان يقصد بقوله : أحسن الخالقين ؟ والواقع أن هذا الدليل كسابقه استدلال في غير محله [٥].

ويمكن دفع هذا الدليل بأن هذا استدلال في غير موضعه يقول الإمام الألوسى : إن قول الله تعالى ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ لا يمكن أن يكون دليلا على زعمهم إذ معنى الخلق في الآية التقدير وهو وصف يطلق على الله تعالى.ولا يصح تفسيره بالإيجاد إذ لا خالق بهذا

---

١ – سورة آل عمران رقم : ٤٥ .
٢ – انظر: كتاب الحق للقمص باسيسوس صـ ١١٠ وما بعدها .ط٢. ١٩٦٤م .
٣ – انظر: تفسير المنار جـ ٣ صـ ٢٥١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة .
٤ – سورة المؤمنون الآية ١٤
٥ – انظر: كتاب الحق للقمص باسيسوس صـ ١١٠ ــ١١٢ .

المعنى غيره تعالى إلا أن يكون على الفرض والتقدير[1] .

وعلي هذا فالآية لا تصلح دليلا على ما يقولون فالخلق في الآية بمعنى التقدير أو الصنع ولامانع من إضافة الخلق بمعني التقدير أو الصنع إلى غير الله تعالى وقد فعل القرآن الكريم وذلك عندما أضافه إلى عيسى بن مريم .

الشبهة الرابعة :

وفيها يقولون : إن المسلم يستدل بالقسم على صدق كلامه فيقول والله العظيم ثلاثا وهو بذلك يقسم باسم الآب والابن والروح القدس [2] .

ويرد على هذا الدليل د. محمد مرجان فيقول : إنه لا علاقة لتلك الألفاظ بأحلام القمص الثالوثية ، فالمسلم حين يقسم بالله العظيم مرة واحدة وحين يكرر قسمه أحيانا مرتين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك أو أقل ليؤكد عزمه على الوفاء بقسمه ، أو حين يعزم على طلاق زوجته فينطق بصيغة الطلاق قائلا لها أنت طالق ، وأحيانا يردد تلك الصيغة مرة أو مرات ليؤكد تصميمه على إيقاع الطلاق ، هذه الألفاظ التي تخضع في صيغتها وفي عدد مرات تكرارها للبيئة والعرف والعادات الاجتماعية ، والتي تختلف صيغتها وتكرار ترديدها من مجتمع إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى على اختلاف دياناتها ومعتقداتها مثلها في ذلك مثل الأمثال العامية... فليس ثمة علاقة بين هذه الألفاظ وبين أي دين من الأديان ، كما أنه من الغرابة بمكان أن نحاول إثبات أو نفي عقيدة دينية تتعلق بذات الله باستجلاب الألفاظ والأمثال العامية التي وضعها الناس لحكم معاملاتهم المادية واحتكاكاتهم السوقية[3] .

هذه هي أهم الأدلة التي يستدل بها النصارى علي عقيدة التثليث، وهي كما نري جاءت متعددة المصادر ولا عجب في ذلك إذ إن الغرض من كل هذا هو مجرد إضفاء نوع من القداسة عليها وبالتالي قبولها ، وقبول ما تبرر به ، فصلاً عن عدم الطعن فيها ، لكل هذا حاولوا التدليل عليها من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، بالإضافة للقرآن الكريم ظناً منهم أن ذلك يقوى عقيدتهم هذه ، ويجعل لها مجالا للقبول .

---

١ – انظر: تفسير روح المعاني للإمام الألوسي جـ ١٨ صـ ١٥ ، ١٦ ط دار الفكر .
٢ – انظر: كتاب الحق للقمص باسيسوس صـ ١١٠ ــ ١١٢ .
٣ – انظر: الله واحد أم ثالوث د. محمد مجدي مرجان صـ ٥٥ ، ٥٦ .

الفصل الخامس
إبطال التثليث عقلا ونقلا

وقد جاء في مبحثين :

المبحث الأول : إبطال التثليث بالأدلة العقلية .

المبحث الثاني : إبطال التثليث بالأدلة النقلية .

المبحث الأول : إبطال التثليث بالأدلة العقلية

إن المتأمل في الأسفار المقدسة يرى دون عناء غرابة دعوة التثليث وتتضح أمامه بسهولة أصالة التوحيد في النصرانية وبهاؤه ، فقد دلت عليه عشرات النصوص الصريحة الناصعة في وضوحها، والتي تؤكد بأن معتقد المسيح وتلاميذه ومن قبلهم أنبياء الله هو توحيد الله تعالى ، ومع هذا تمسك النصارى بعقيدة باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وفي هذا المبحث نعرض لأدلة إبطال التثليث من زوايا متعددة . فأقول وبالله التوفيق :

لقد ساق العلماء عدة أدلة عقلية علي بطلان هذه العقيدة جاءت علي النحو التالي :

الدليل الأول :

إذا كان هناك ثلاثة أشخاص إلهية متميزة ومنفصلة ، إذن يلزم أن يكون هناك ثلاثة ذوات منفصلة ومتميزة لأن كل شخص ملازم ذاته ، والآن إذا كان الآب هو الله ، والابن هو الله ، والروح القدس هو الله إذن فإن لم يكن الآب والابن والروح القدس ثلاثة متميزين فلابد أن يكونوا ثلاثة ذوات متميزة وبناء على ذلك ثلاثة آلهة متميزة وفضلاً عن ذلك أن الأشخاص الإلهية الثلاثة إما أن تكون سرمدية أو محدودة ، فإذا كانت سرمدية إذن يصبح ثلاثة متميزة سرمدية ثلاثة كلى القدرة ثلاثة أبدية وهكذا ثلاثة آلهة .

وإذا كانوا محدودين إذن فنحن قد توصلنا إلى بطلان مفهوم الكائن السرمدي ذات الثلاثة وجوه على قيد الحياة أو ثلاثة أشخاص منفصلين محدودين لتصنع الصلة الأزلية ، والحقيقة هي هكذا أن الأشخاص الثلاثة محدودون وإذن فليس الأب ولا الابن ولا حتى الروح القدس هو الله [1].

الدليل الثاني :

ومما يدل أيضاً على مخالفة هذه العقيدة للعقل أن النصارى اتفقوا على أن أقانيم الآب ، والابن ، والروح القدس غير مختلفة بل هي أقنوم واحد . فإذا كان هذا الآب هو الابن ، وهما روح القدس ، والكل شيء واحد ، وهذا توحيد ، فلم خصصتم المسيح بالابن ، ولم تقولوا أنه الآب ، وقد قلتم : إن الآب ، والابن والروح القدس شيء واحد ؟ثم جعلتم جوهر البدن شيئاً معبوداً وليس من الثلاثة ، فهؤلاء أربعة ، وقد بطل التثليث ، وصار تربيعاً ، فإن أبيتم إلا ثلاثاً فقد جعلتم نفي العبد وإثباته سواء ، وكابرتم العقول " [2] .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تخبط النصارى في هذه العقيدة التي لا يقرها العقل ، والتي توصل في نهاية هذا الدليل إلى أربعة بديلاً من ثلاثة [3].

---

١ – الغفران بين الإسلام والمسيحيين ، بقلم / إبراهيم خليل أحمد صـ ٩٦ـ٩٧ . دار المنار بالقاهرة ط ١. ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

٢ – بين الإسلام والمسيحية . كتاب أبى عبيدة الخزرجى . تحقيق د . محمد شامة صـ ١٨١ .مكتبة وهبة

٣ – انظر: ذيل الفارق بين المخلوق والخالق ، للعلامة . عبد الرحمن الباجة جى زاده صـ ٦ في رد رسالة شرح التعليم المسيحي لقواعد الإيمان الكاثوليكي .

الدليل الثالث :

وفيه يقول الشيخ رحمت الله الهندي وهو بصدد الحديث عن التوحيد والتثليث : إذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيتهما ضدان حقيقيان ، أو نقيضان في نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب كيف ؟

* وأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد .

* وأن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة فلو اجتمعا- أي التثليث- الحقيقي والتوحيد الحقيقي- في كل واحد يلزم كون الجزء كلا والكل جزءا.

* وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير ،والكل مركب ،فكل جزء من أجزائه أيضا مركبا من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهلم جرا وكون الشيء مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعا.

* وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه والثلاثة ثلث الواحد وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة وهو ما لا يقول به عاقل[1].

الدليل الرابع :

ومما يدل أيضاً على عدم قبول العقل لهذه العقيدة ما ذكره الشيخ رحمت الله الهندي أيضاً في نقده لهذه العقيدة ، فقال : " لو وجد في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي كما قالوا فمع قطع النظر عن تعدد الوجباء يلزم ألا يكون الله حقيقة محصلة ؛ بل مركباً اعتبارياً فإن التركيب الحقيقي لابد فيه من الافتقار بين الأجزاء ، فإن الحجر الموضوع بجنب الإنسان لا يحصل منهما حقيقة أحدية ولا افتقار بين الواجبات لأنه من خواص الممكنات ، فالواجب لا يفتقر إلى الغير ، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيره وإن كان داخلاً في المجموع ، فإذا لم يفتقر بعض الأجزاء إلى بعض آخر لم تتألف منها الذات الأحدية ، على أنه يكون الله في الصورة المذكورة مركباً ، وكل مركب يفتقر في تحقيقه إلى تحقيق كل واحد من أجزائه ، والجزء غير الكل بالبداهة ، فكل مركب مفتقر إلى غيره ، وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته فليزم أن يكون الله ممكناً لذاته ، وهذا باطل " [٢] .

وهذا الدليل المذكور وضح فيه الشيخ رحمت الله الهندي أنه لو وجدت في ذات الله ثلاثة أقانيم متميزة للزم على هذا ألا يكون الله حقيقة محصلة بل هو مركب اعتباري ، وإذا كان الأمر كذلك فإن المركب يحتاج إلى أجزاء ، وطالما أنه محتاج إلى أجزاء فهو مفتقر إلى غيره ، وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته ، وعلى هذا يلزم أن يكون الله ممكناً لذاته وهذا محال لأنه لا يليق بالإله اتصافه بهذه الأوصاف ، ومن ثم بطل قولهم بالتثليث .

الدليل الخامس :

وعلى غرار الدليل السابق في نقد الشيخ رحمت الله الهندي ذكر هذا النقد ، فنجده يقول :

" إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز إما أن يكون

---

١ - انظر إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي جـ٣صـ ٧٢٥ ـ ٧٢٦.

٢- إظهار الحق ٣ / ٧٢٦ .

من صفات الكمال أو لا يكون ، فعلى الشق الأول لم تكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيما بينهن ، وهو خلاف ما تفرد عندهم أن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال ، وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال ، وهذا نقصان يجب تنـــزيه الله عنه " [١] .

وهذا الدليل يبين مدى تضارب النصارى في هذه العقيدة وتخبطهم فيها وهذا واضح فيما يلي أنه إذا قالوا بالامتياز الحقيقي بين هذه الأقانيم فإنه يترتب عليه أن يكون هذا الامتياز من صفات الكمال أم لا يكون ؟ فإن كان من صفات الكمال فإنه يلزم عنه أن تتصف هذه الأقانيم الثلاثة بهذا الكمال وهذا يتعارض مع قولهم فهم يقولون : إن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بكل صفات الجلال والكمال ، وإن لم يكن موصوفاً بصفات الكمال فهذا نقص يتنـــزه عنه الله ولا يصح أن يكون إلهاً ، لأن الإله يجب أن يكون متصفاً بجميع صفات الكمال منزهاً عن كل صفات النقص وإلا ما استحق أن يكون إلهاً.

الدليل السادس :

أن هذه العقيدة تجعل الله تعالى مركباً من أجزاء ، وهذا يعني احتياجه إليها ، وهذا يتنافى مع كمال الله تعالى ، لما هو معلوم أن الله تعالى منزه عن أي نقص ، والاحتياج نقص .

يقول د . محمد مجدي مرجان : " إذا ما حاولنا عرض هذا القول على صفحة العقل للفظه أيضاً في بداهة سريعة .... فلا يمكن للعقل أن يتصور إلها مكونا أو مركبا من أجزاء أو عناصر ثلاثة ، فالشيء المركب لا يتكون ولا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك العناصر والأجزاء التي يتركب منها ، فوجود الأجزاء يسبق تكوينها وتركيبها ، والله لم يكن مسبوقا بشيء فهو الأزلي وحده فكيف يمكن أن يكون مكونا من أجزاء أو عناصر ، إن وحدانية الله وحدانية مطلقة وحدانية لا تركيب فيها على الإطلاق وليس وحدانية في تثليث كما يقولون ،كذلك فإن الشيء المركب يفتقر في تحققه وتكونه إلى كل جزء من أجزائه ، فإن لم يفتقر بعض الأجزاء إلى الآخر لا يمكن أن تتألف منها الذات الأحدية ، والله لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى أحد فهو الغني وحده والكل محتاج إليه .

كما أنه لابد للمركب من مركب يتولى تركيب أجزائه وعناصره وضم بعضها إلى بعض حتى يتكون الكل ويصير كاملا ... والله سبحانه وتعالى لم يكونه أو يركبه أحد ولا علة له ، فهو موجود بذاته أزلا ،كذلك فإن الشيء المركب محدود بكمية أجزائه وعناصره ومقدارها ، فهو محدود بحدود الأجزاء التي ركب منها وبالتالي فمن الممكن رؤيته وتحديده فهو يتحيز بمكان وحيز معين ،والله جل في علاه غير محدود ولا متناه ولا يحده مكان أو زمان ولم يره أحد ،فهو غير مركب بل هو واحد وحدانيته مطلقة ... فكل مركب صائر إلى الانحلال ، لذلك لا يكون الواحد إلا بسيطا غير قابل للتجزئة " [٢] . فهذا الدليل يوضح إلى أي مدي استحالة وجود إله مركب من أقانيم ثلاثة لكونه لا يتوافق مع كمال الذات الإلهية .

١- السابق ٣ / ٧٢٧ .

٢ - انظر الله واحد أم ثالوث د .محمد مجدي مرجان صـ٦٧ ــ٦٨.

الدليل السابع :

وهو للشيخ عبد الرحمن باجة في رده على "رسالة أبحاث المجتهدين" [1] .

يقول : " لو سألنا صاحب هذا التصنيف عن قوم يعترفون بالإله الواحد بدون تثليث ، وقوم يثلثون الإله بدون توحيد أيهما على الحق ، فإن صحح القولين بأنهما على الحق فلم تبق إذاً حاجة للقوم الموحدين أن يقولوا بالتثليث لأنهم اتبعوا التوحيد الذي صح عند المؤلف ، وإن كفر القوم القائلون بالتوحيد بدون تثليث ، والتثليث بدون توحيد فيلزم حينئذ تكفير المسيح -والعياذ بالله- من وجهين :

الوجه الأول : لأنه وحد الله بدون تثليث ، وذلك في مواضع كثيرة من الإنجيل [2] .

والوجه الثاني : لأنهم زعموا بأنه قال بوصية حين الرفع في آخر إنجيل متى ونصه : "عمدوا باسم الأب والابن وروح القدس ، فقط ولم يقل لهم إله واحد .. فلم يبق إذاً إلا تكفير المسيح مع كافة الأنبياء والمرسلين ومن آمن بهم من المسلمين لأنهم كلهم موحدون بدون تثليث " [3].

وكله في النهاية يثبت مدى غموض هذه العقيدة وأن النصارى يسلمون بها بدون إدراك وفهم ، لأنهم لو أدركوا وفهموا لنقضوا هذه العقيدة ، وهذا واضح من خلال هذا الدليل ، فقد يأتون بالشيء ونقيضه في آن واحد ، وهم لا يستطيعون الوصول إلى هذه الحقيقة الواقعة من أن الكون لا يستقيم حاله ونظامه لو كان فيه ثلاثة آلهة كما يعتقدون ولقد صدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [4].

الدليل الثامن :

أن ذات الله وصفاته قديمة غير متغيرة ، فلو كان التثليث حقا لكان قديما كذلك ، ولو كان قديما حقا لبينه موسى عليه السلام ومن بعده من أنبياء بنى إسرائيل حق التبيين ولبينه كذلك عيسى عليه السلام ولكنه لم يفعل والدليل على ذلك من واقع كتبهم ، يقول قاموس الكتاب المقدس : إن كلمة التثليث والثالوث لم ترد في الكتاب المقدس ، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو "ترنليان"

١- هذه الرسالة مطبوعة في مصر سنة ١٩٠١م تأليف . نيقولا يعقوب غبريل واسمها أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين " وهى مشتملة على تسعة مباحث وفصول يستشهد فيها بالآيات الكريمة من القرآن والأحاديث النبوية وزعم أنها تدل على عدم تحريف التوراة والإنجيل هذا ، وقد رد الشيخ عبد الرحمن باجة على ما جاء في هذه الرسالة في كتابه "ذيل الفارق بين المخلوق والخالق" (انظر : صـ٣٠ من كتاب ذيل الفارق ، العقائد النصرانية في الميزان د. محمود سيد هامش صـ١٥٦ .الدار الإسلامية للطباعة والنشر ط١ .١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) .

٢- منها على سبيل المثال ما جاء في إنجيل يوحنا ١٧/ ٣ ، وهذه هي الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، وأن يسوع الذي أرسلته .

٣- رد رسالة أبحاث المجتهدين ضمن كتاب ذيل الفارق . للشيخ . عبد الرحمن باجة صـ٥٦ ، العقائد النصرانية في الميزان د. محمود سيد صـ١٥٦ـ١٥٧ .

٤- سورة الأنبياء من الآية : ٢٢ .

في القرن الثاني للميلاد [1]. كما أن كلمة أقانيم لم يرد ذكرها في الكتب المعتمدة لديهم .فلو كان التثليث كما يقولون فلماذا لم تناد به العقائد السابقة علي عيس عليه السلام ؟لكن الحق أن هذه العقيدة لم يرد ذكرها في كتاب منزل.

وبناءً على هذا الاعتراف السابق ذكره يتضح لنا أن التثليث عقيدة باطلة لم يقل به أحد من الأنبياء . وأما النصوص التي استشهدوا بها فهي ليست صريحة وعلى فرض صراحتها فهي من واقع فكرهم المنحرف، وهكذا بان لنا أن العقل يرفض هذه العقيدة لا لأنها فوق مستوى العقل كما يزعمون ،بل لأنها متصادمة مع الفطرة متناقضة مع العقل السليم تتعارض مع قوانين الفكر الأساسية .

---

١ - انظر: قاموس الكتاب المقدس صـ٢٣٢.

المبحث الثاني : إبطال التثليث بالأدلة النقلية

أ/ إبطال التثليث بنصوص التوراة :

إذا كان النصارى يعترفون بالتوراة ويؤمنون بها ، كما أنها تعد من أهم مصادرهم المقدسة، فهي تمثل العهد القديم ، وأناجيلهم تمثل العهد الجديد ، ومن ثم لا ينكرون ما جاء في التوراة . وإذا كنا لم نجد للتثليث دليلاً صريحاً واحداً ينهض للاستدلال، فهل ترانا نجد لنقيضه، وهو التوحيد دليلاً في ثنايا الكتاب المقدس؟

أقول إن المتأمل في الأسفار المقدسة يرى بوضوح غرابة دعوة التثليث وتسطع أمامه أصالة التوحيد في النصرانية وبهاؤه ، فقد دلت عليه عشرات النصوص الصريحة الناصعة في وضوحها، ولا غرابة في ذلك حيث إن الدعوة إلى الوحدانية هي الغاية التي أرسل الله بها الأنبياء ، والمتأمل في التوراة يجد أنها اشتملت على عشرات النصوص ، التي تثبت الوحدانية ، وتنبذ الشرك ، ومن هذه النصوص ما يلي :

١ــ جاء في سفر الخروج " أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور " [١].

فهذا النص كما يذكر أحد الباحثين : صريح في نفي الشرك عن الله تعالى وإثبات الوحدانية له ، فلا إله من السماء يكون مع الله ، ولا إله من الأرض يكون شريكا لله ولا إله من المياه يكون معبودا من دون الله ، فإذا ما جاء النصارى المثلثون بعد ذلك ليقولوا إن عيسى إله لأنه نزل من السماء ، أو لأنه يجلس عن يمين الله فدعواهم هذه باطلة لأن التوراة التي يؤمنون بها تنفي الشريك عن الله وتثبت له الوحدانية[٢].

٢- وجاء في سفر التثنية " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك "[٣].

فهذا النص واضح في إثبات الوحدانية لله -ﷻ- وأنه لا شريك له .

٣ــ وجاء في سفر إشعياء " أنا الأول وأنا الأخر ولا إله غيري ... أنا الرب صانع كل شيء ناشر السماوات وحدي باسط الأرض من معي " [٤].

٤ــ وفي نفس السفر " أنا الرب وليس آخر لا إله سواي مصور النور وخالق الظلمة

١- سفر الخروج ٢٠/٢-٥ وسفر التثنية ٥ / ٨: ١٠.

٢ -انظر: عقيدة التثليث عند النصارى د. شتيوى صــ٤٧.

٣- التثنية ٦/ ٤: ٦ .

٤ - سفر إشعياء ٤٤/ ٢٤ : ٢٦

وصانع السلام وخالق البشر أنا الرب صانع كل هذه "[١].

٥ـ وقال داود -عليه السلام- : " يا رب .. لا إله غيرك ، حسب كل ما سمعناه بآذاننا " [٢]

٦- " ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر" [٣] .

٧- " أنت هو الإله وحدك ، لكل ممالك الأرض " [٤] .

إن هذه النصوص التي تدعوا إلى التوحيد الكامل تناقض ما وضعه النصارى في أمانتهم فعيسى عليه السلام الذي قالوا إنه مولود من الأب قبل الدهور ينقضه ما جاء في هذه النصوص من أن الله هو الأول وهو الأخر وهو صانع الكل بما في ذلك عيسى عليه السلام ، وحسب هذه النصوص فالله صانع الكل وليس كما يدعى المثلثون أن عيسى كان به كل شيء ...

وهكذا رأينا في التوراة نصوصا تثبت الوحدانية لله تعالى فإذا كان عيسى عليه السلام ما جاء لنقض ما فيها وما جاء لينقض ما جاء به موسى – كان لزاما على هؤلاء المثلثين أن يعودوا إلى رشدهم ويتبرأوا من التثليث ويعودوا إلى التوحيد [٥].

وبعد فهذا بعض من كل وقليل من كثير من نصوص التوراة التي تحدثت عن وحدانية الله -جل جلاله- ولم تتحدث عن التثليث أليس هذا مخالفاً لما استدل به النصارى على إثبات هذه العقيدة فهذه النصوص من واقع التوراة التي يؤمنون بها ويسلمون بما فيها ، وفي هذا برهان كاف لبطلان ما يعتنقونه.

ب/ إبطال التثليث بنصوص الإنجيل :

كما نطقت أسفار العهد القديم بفساد هذه العقيدة جاءت أسفار العهد الجديد هي الأخرى تشهد بتفرد الله بالألوهية ، ومن ذلك ما جاء علي لسان المسيح وحواريه.

١- جاء في إنجيل مر قس : " أن أحد الكهنة سأل المسيح عن أول الوصايا فأجابه يسوع أولى الوصايا جميعاً هي : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، فأجاب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك وبكل قوتك هذه هي الوصية الأولى . فقال له الكاتب صحيح يا معلم : حسب الحق تكلمت فإن الله واحد وليس آخره سواه ومحبته بكل القلب وبكل الفهم وبكل القوة " [٦]

٢ -جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته "[٧].

يقول أ. د. محمد شلبي معلقا على هذا النص: " فهذا النص اشتمل على ثلاث كلمات كلها تثبت الوحدانية لله تعالى وتنفي عنه الشرك والتثليث وأول هذه الكلمات قول عيسى " وهذه هي

١- سفر إشعياء ٤٥/ ٥ : ٨ .

٢ أخبار الأيام الأول . ١٧ / ٢٠ .

٣ الملوك الأول. ٣٧ / ١٦ .

٤ الملوك الثاني. ١٩ / ١٦ .

٥ -انظر: عقيدة التثليث عند النصارى صـ ٤٨.

٦ـ مر قس. ١٢ / ٢٩ : ٣٣ .

٧- إنجيل يوحنا ٣/١٧.

الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي " ، فعيسى هنا يعرف الناس بالطريق الصحيح لتحصيل الحياة الأبدية ألا وهو معرفتهم بأن الله وحده هو الذي يستحق الألوهية دون غيره من المخلوقات ،ولو كان عيسى إله كما يدعى النصارى لكان قد قال :أنت وأنا إلهان حقيقيان مثلا ولكنه عليه السلام لم يثبت هذا لنفسه وإذا فقول مؤتمر نيقية عن عيسى أنه إله حق من إله حق هو قول مخالف لما جاء به عيسى نفسه من أن الحياة الأبدية هي في معرفتهم بوحدانية الله وإيمانهم بها .

أيضا قوله عليه السلام : "وحدك" يخرج بهذه الكلمة نفسه من أن يكون مشاركا لله في هذه الألوهية الحقة ويثبت الوحدانية لله تعالى ،فليس عيسى مشاركا لله في شيء من هذا أبدا .

كما أن قول عيسى عليه السلام : " يسوع المسيح الذي أرسلته " اعتراف منه عليه السلام بأنه مرسل من الإله الحقيقي الواحد في هذه الألوهية ، ولو كان عيسى إلها كما يدعى أتباع بولس لما أسند إرساله بالرسالة إلى غيره ، و لكان قد أسندها إلى نفسه باعتباره إلها ، وإذا لم يقل عيسى هذا عن نفسه كان قول مؤتمر نيقية عن عيسى بأنه مساوٍ للإله الحق في الجوهر وأنه الذي كان به كل شيء ادعاء باطلا لا سند له من الحقيقة [1].

٣- وجاء في إنجيل مر قس " فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأي أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل ، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى ، وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك ، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين ، فقال له الكاتب جيد يا معلم بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه "[2].

فهذا النص يؤكد أن الوصية الأولي التي أولاها المسيح عنايته واهتمامه إثبات أن الله واحد، فعلم أن أول الوصايا أن يعتقد الإنسان أن الله واحد لا شريك له ، وليس كما زعمت النصارى ولو قال عيسى بالتثليث لتناقضت أقواله وانصرف الناس عنه ، وخرجوا عليه ، فضلاً عن هذا فإن المتأمل في هذا النص يجد أنه اشتمل علي شواهد متعددة للوحدانية ، ونفي أكيد للشرك والتثليث ، ويدركه المرء دون عناء ، فكون عيسى يوصى بهذا القول يكون مؤمنا بوحدانية الله كما هو الحق ، بريئا من القول بالشرك والتثليث.

وهل يعقل أن يوصى عيسى بهذا – أي الوحدانية – ثم ينسب لنفسه الألوهية بعد ذلك فيكون مخالفا لأمر الله وهو رسوله ؟ ولو كان عيسى قد أوصى بالوحدانية ثم ادعى لنفسه الألوهية لتناقضت أقواله فانصرف الناس عنه ، وبخاصة أن اليهود كانوا يتربصون به الدوائر ، فاضمحلت دعوته وتشوهت رسالته ، ولكن مثل هذا لم يكن فدل على أن عيسى لم يصدر منه قول بألوهية منسوبة إليه ، وأن هذا ادعاء افترى عليه ممن جاءوا بعده . وفي قول عيسى " الرب إلهنا رب واحد " يتضمن إثبات ربوبية الله لعيسى ولكل الناس ، وأن الله وحده هو المتصف بالربوبية والألوهية ، وحينئذ يكون قول المثلثين بأن عيسى رب ، أو إله قولا مخالفا لما قاله المسيح عن

١- انظر : عقيدة التثليث عند النصارى صـ ٤٨ ـ ٤٩ .

٢ -انجيل مر قس :١٢/٢٨-٣٣.

نفسه ، وأثبتته الأناجيل التي يقرون بصحتها وصدقها.

وفي قول عيسى " ليس وصية أخرى أعظم من هاتين " درء لدعوى ألوهية عيسى وبالتالي لدعوى التثليث ، وذلك أن عيسى عليه السلام لو كان إلها ، ولو كان الله ثالث ثلاثة لكان وصية بهذا أعظم من هاتين الوجهين ،لكن لأن الوحدانية الخالصة – وليس وحدة في تثليث وتثليث في وحدة – أفضل اعتقاد ومعناه كانت الوصية بها أفضل وأعلى من أي شيء ومن كل شيء .

وفي قول الكاتب لعيسى : " جيدا يا معلم بالحق قلت" شهادة تبرىء عيسى من دعوى الألوهية إذ لو كان عيسى إلها -كما يدعى المثلثون- لكان قد قال هذا الكاتب : " جيدا يا إلهي أو جيدا يا رب أو جيدا يا ابن الله " ثم هل يحتاج الإله لمن يشهد له بالإجادة والقول الحق؟[1].

٤ـ وجاء في إنجيل متى " وإذا واحد تقدم وقال له : أيها المعلم الصالح – يقصد المسيح عليه السلام – أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعوني صالحا ، ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله " [2].

والتوحيد معتقد تلاميذ المسيح وتلاميذهم، كما نقل عنهم ذلك العهد الجديد مراراً.

٥ـ ومنه ما جاء على لسان التلميذ يعقوب : "أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل" [3]

وعلي هذا يكون القول بألوهية غير الله ليس من الحسن في شيء.

٦ـ ويقول : " واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك " [4].

٧ـ بل وحتى بولس نجد له بعض النصوص التي تعترف لله بالوحدانية يقول بولس واصفاً الله بالوحدانية وغيرها من صفات الجلال والكمال :

" المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور، لا يدنى منه ، الذي لم يره أحد من الناس ، ولا يُقدر أن يراه ، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية " ويقول : " لكن الله واحد " [5]

فهذه النصوص وكثير مثلها تتحدث عن الإله الواحد، وليس في واحد منها أو غيرها حديث عن الإله المتعدد الأقانيم المتوحد في الجوهر الذي يدعيه النصارى .

وبعد ... فإذا كان التثليث باطلا بحكم العقل والمنطق والفطرة ، فهو كذلك أشد بطلانا بحكم الأدلة النقلية التي ذكرناها والتي يقدسونها وليس ما ذكرت هي كل الأدلة بل بعضها ، أوردتها ليكون الأمر واضحا كل الوضوح لكل ذي عينين ولمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

١- انظر: عقيدة التثليث عند النصارى .د . محمد شلبي شتيوى صـ ٥٠ ـ٥١ .

٢ - إنجيل متى ١٦/١٩ـ١٧ .

٣ - يعقوب ١٩/٢.

٤ - يعقوب ١٢/٤ .

٤ - رسالة بولس الرسول الأولي إلى (تيموثاوس (١) ٦/١٥-١٦).

٥- غلاطية ٢٠/٣ .

جـ / إبطال التثليث بنصوص القران :

تحدث القرآن الكريم عن هذه العقيدة وبين زيفها وضلالها ومغالاة النصارى فيها ، كما تحدث عن العقيدة الأساسية وهى عقيدة التوحيد بأدلة متعددة لا مجال للطعن فيها إلا لدي أهل الهوى والضلال ولإبطال هذه العقيدة التي يعتنقها النصارى في الإله – باستثناء المعتدلين منهم – ساق القران الكريم عدة أدلة بين من خلالها بطلانها. والآيات القرآنية جاءت صريحة في ذلك منها:

١ـ قوله تعالى : ﴿ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا ﴾[١] .

والذي نلحظه من خلال هذه الآية أنها اشتملت على أكثر من قضية فهي لم تنه عن التثليث فقط بل اشتملت على ما يلي :

أولاً : عدم المغالاة من قبل أهل الكتاب ، لأن المغالاة من قبل النصارى في عيسى –عليه السلام– أوصلتهم إلى قولهم بألوهيته .

ثانياً : بيان حقيقة سيدنا عيسى –عليه السلام– وأنه ابن مريم ، وليس ابن الله كما تعتقدون ، وهو رسول من قبل الله إلى بني إسرائيل ، وأنه كغيره من البشر مخلوق بكلمة الله .

ثالثاً : بعد بيان هذه الحقائق كان الأولى بالنصارى ألا يصلوا إلى هذه المرحلة وهى قولهم بالتثليث .

رابعاً : تعدد الآيات مرة أخرى لتقرر العقيدة الصحيحة التي ينبغي على النصارى اتباعها وهى أن الله واحد لا شريك وهو منــزه عن الولد لأنه لا يحتاج إلى خلقه لأن الملك ملكه فكل ما في السماوات والأرض ملك لله فماذا يفيد الولد معه كما تعتقدون –حاشا لله– أن يكون له ولد [٢].

٢ـ ومن الآيات القرآنية التي ردت على النصارى في معتقدهم هذا ، وحكمت عليهم بالكفر :

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٣] .

إذا كانت الآية السابقة حذرت النصارى من المغالاة التي أوصلتهم في النهاية إلى قولهم بألوهية المسيح –عليه السلام– وألوهية الروح القدس حتى وصلوا إلى الثالوث المقدس تأتى الآيات هنا لتعلن في صراحة كفر النصارى الذين قالوا بهذه العقيدة ولم تقتصر الآية بكفر هؤلاء لقولهم ثالث

١– سورة النساء الآية : ١٧١ .

٢– العقائد النصرانية في الميزان د محمود سيد صـ١٦٥ ـ١٦٦ .

٣– سورة المائدة الآية : ٧٣ .

ثلاثة ، إنما تعود لتقرر حقيقة التوحيد مرة أخرى حتى لا يكون لهم عذر وينتهوا عما هم عليه ، وإذا لم ينتهوا فإن عقابهم عند الله عسير .

ومما يدل على بيان هذه الآية وأنها خاصة بالنصارى ما ذكره العلامة ابن كثير في تفسيره: " والصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة ، قال مجاهد وغير واحد ، ثم اختلفوا في ذلك فقيل : المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، قال ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً .. وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة ، وقال السُدّي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار " [١].

ويقول الإمام القرطبى في تفسيره : " .. وهذا قول فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية ، لأنهم يقولون أب وابن وروح القدس إله واحد .. فأكفرهم الله بقولهم هذا وقال : ﴿ وما مِنْ إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ ﴾ أي أن الإله لا يتعدد وهم يلزمهم القول بثلاثة آلهة وإن لم يصرحوا بذلك لفظا " [٢].

وهكذا تحدث القرآن الكريم عن هذه العقيدة ، ورد على النصارى في قولهم بأن الله ثالث ثلاثة ، حتى حكم بكفرهم بإصرارهم على هذا القول ، وعندما تحدث القرآن الكريم عن العقيدة الحقة وهى عقيدة التوحيد ضرب الأمثلة لمن أراد أن يعتبر أو يتعظ ، كيف يعبد إلهاً غير الله ، وهو سبحانه القوى القاهر وما عداه ضعيف وعاجز ، ثم إن الكون وما فيه من دقة وعظمة صنع تدل على أن له إله واحد وإلا لفسد هذا الكون بما فيه .

٣ـ ومن بين الآيات أيضا قوله تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [٣].

فهذه الآية التي تضيف دليلا آخر ألا وهو دليل الغنى والاستغناء عن اتخاذ ولد "سبحانه هو الغنى "وبيان هذا الدليل من وجوه :

الأول : إنه سبحانه غني مطلقا على ما في هذه الآية ، والعقل أيضاً يدل عليه ، لأنه لو كان محتاجاً لافتقر إلى صانع آخر ، وهو محال وكل من كان غنياً فإنه لا بد أن يكون فرداً منزهاً عن الأجزاء والأبعاض ، وكل من كان كذلك امتنع أن ينفصل عنه جزء من أجزائه ، والولد عبارة عن أن ينفصل جزء من أجزاء الإنسان ، ثم يتولد عن ذلك الجزء مثله ، وإذا كان هذا محالاً ثبت أن كونه تعالى غنياً يمنع ثبوت الولد له .

الثاني : إنه تعالى غني وكل من كان غنياً كان قديماً أزلياً باقياً سرمدياً ، وكل من كان كذلك ، امتنع عليه الانقراض والانقضاء ، والولد إنما يحصل للشيء الذي ينقضي ، وينقرض ، فيكون ولده قائماً مقامه ، فثبت أن كونه تعالى غنياً ، يدل على أنه يمتنع أن يكون له ولد .

١- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٢ / ١٣٠ .دار الفكرط٢. ١٤٠٨هـــ ١٩٨٨م .

٢- انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦ / ١٧١ ـ ١٧٢.

٣- سورة يونس رقم :٦٨.

الثالث : إنه تعالى غني وكل من كان غنياً فإنه يمتنع أن يكون موصوفاً بالشهوة واللذة وإذا امتنع ذلك امتنع أن يكون له صاحبة وولد .

الرابع : أنه تعالى غني ، وكل من كان غنياً امتنع أن يكون له ولد ، لأن اتخاذ الولد إنما يكون في حق من يكون محتاجاً حتى يعينه ولده على المصالح الحاصلة والمتوقعة ، فمن كان غنياً مطلقاً امتنع عليه اتخاذ الولد .

الخامس : ولد الحيوان إنما يكون ولداً له بشرطين : إذا كان مساوياً له في الطبيعة والحقيقة ، ويكون ابتداء وجوده وتكونه منه ، وهذا في حق الله تعالى محال ، لأنه تعالى غني مطلقاً ، وكل من كان غنياً مطلقاً كان واجب الوجود لذاته ، فلو كان لواجب الوجود ولد ،لكان ولده مساوياً له. فيلزم أن يكون ولد واجب الوجود أيضاً واجب الوجود ، لكن كونه واجب الوجود يمنع من تولده من غيره ، وإذا لم يكن متولداً من غيره لم يكن ولداً ، فثبت أن كونه تعالى غنياً من أقوى الدلائل على أنه تعالى لا ولد له ، وهذه الثلاثة مع الثلاثة الأول في غاية القوة .

السادس : إنه تعالى غني ، وكل من كان غنياً امتنع أن يكون له أب وأم ، وكل من تقدس عن الوالدين وجب أن يكون مقدساً عن الأولاد .

٤ـ ومن بين الآيات أيضا قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾ [1].

فالحق سبحانه وتعالى لم يتخذ ولدا وكونه لم يتخذ ولد لكونه إلها صفة تستوجب الحمد .

يقول الإمام الرازي : فذكر هنا من صفات التنزيه والجلال وهي السلوب ثلاثة أنواع من الصفات : **منها** أنه لم يتخذ ولداً والسبب فيه وجوه : **الأول :** أن الولد هو الشيء المتولد من جزء من أجزاء شيء آخر فكل من له ولد فهو مركب من الأجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج لا يقدر على كمال الإنعام فلا يستحق كمال الحمد . **الثاني :** أن كل من له ولد فإنه يمسك جميع النعم لولده فإذا لم يكن له ولد أفاض كل تلك النعم على عبيده . **الثالث :** أن الولد هو الذي يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وفنائه فلو كان له ولد لكان منقضياً ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الإنعام في كل الأوقات فوجب أن لا يستحق الحمد على الإطلاق . **والنوع الثاني :** من الصفات السلبية قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك فحينئذ لا يعرف كونه مستحقاً للحمد والشكر . **والنوع الثالث :** قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾ والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو جاز عليه ولي من الذل لم يجب شكره لتجويز أن غيره حمله على ذلك الإنعام أو منعه منه ، أما إذا كان منزهاً عن الولد وعن الشريك وكان منزهاً عن أن يكون له ولي يلي أمره كان مستوجباً لأعظم أنواع الحمد ومستحقاً لأجل أقسام الشكر[2].

٥ـ ومن بين الآيات أيضا قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ

١- سورة الإسراء رقم :١١١.

٢- انظر: مفاتيح الغيب للإمام الرازي .جـ ٩ صـ ١٣٩ ـــ ١٤٠ .دار الفكر للطباعة والنشر .١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١]، وفي قوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٢]. إن الكون لا يستقيم حاله لو أن له أكثر من إله .

يقول الزمخشري عند تفسير لقوله تعالى : ﴿ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ " لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ، ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزاً عن ملك الآخرين ، ولغلب بعضهم بعضاً ، كما ترون حال ملوك الدنيا ، ممالكهم متمايزة ، وهم متغالبون ، وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء " [٣] .

هذه قليل من كثير مما جاء في القران الكريم يتضح من خلاله رفض القرآن لها وبيان قبحها وقبح أنصارها،خصوصاً وأنه أكد علي تبرأ عيسى منها ومن كل ما يتصل بها من عقائد أخري باطلة ، وهذا هو إعلان البراءة من هذا التثليث يأتي على لسان عيسى عليه السلام يوم يجمع الله الرسل فيقول الله له

﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾ فما كان جواب عيسى إلا كما أخبر القرآن الكريم : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٤].

وهكذا نجد أن آيات الله في القرآن ترد على هذا الصنيع وما فعله القوم بدين عيسى عليه السلام وترد هذا الصنيع إلى مصدره ومنبعه الأصلي الذي جاء منه قال تعالى ﴿ ... ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٥].

تعقيب :

هذا هو التثليث النصراني أخذه قساوسة النصارى عن المصريين القدماء والهنود والفرس وفلاسفة اليونان وغيرهم .

فقد أخذت المسيحية أصول التثليث من كل الديانات الوثنية التي كانت تعتقد بالتثليث آنذاك ، خاصة وأن بولس الذي كان محوراً رئيسياً في ذلك ، فقد درس العقائد والثقافات التي كانت تسود الشرق وبلاد اليونان ومزج العقيدة النصرانية بكل هذه المعتقدات الوثنية ، لكن الأمر الذي يثير الدهشة كيف بثالوث الشعوب الوثنية يتسرب إلى ديانة موحى بها من قبل الله تعالى ؟ والجواب : إن المسيحية رسالة سماوية نزل بها عيسى عليه السلام من عند الله مناديا بوحدانية الله وداعيا الناس إلى صالح الأعمال شأنه كشأن جميع الأنبياء والمرسلين ، ولكن الوثنية شوهت تلك الصورة

١- سورة الأنبياء الآية . ٢٢ .

٢- سورة المؤمنون الآية . ٩١ .

٣ - الكشاف عن حقائق غوامض التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للإمام محمود بن عمر الزمخشرى جـ ٣ . صـ ٢٠٠ .ط دار الكتاب العربي .الطبعة الثالثة بيروت لبنان ١٩٨٧م.

٤ - سورة المائدة الآية . ١١٧ .

٥ - سورة التوبة الآية . ٣٠.

المشرقة لهذه الرسالة العظيمة التي جاء بها السيد المسيح ،ولا غرابة في ذلك خصوصاً إذ علمنا أن عبادتهم كلها من وضع ساداتهم مما ترتب عليه قلبهم للحقائق ولبسهم الحق بالباطل.

والأعجب من ذلك أن كثيراً من علمائهم يدركون ذلك ويعترفون به ؛ بل ويبررونه زاعمين أن ذلك من مكملات الإيمان ، كما أنه من جهة أخري يدل على وحدة المصدر أي أن مصدر التثليث عند الوثنيين وعند النصارى هو الوحي الإلهي . وكل ذلك حفاظاً علي مكانة يحتلونها أو مصلحة يتكسبونها.

وقصارى القول في هذا : أن المسيحية قد تأثرت بجميع الديانات الوثنية القائلة بالتثليث دون تمييز ، والسبب في ذلك يعود إلى فتح النصارى الباب أمام الوثنيين ، ولم يعارضوا أي فكر وثني

أو يرفضوه أو يحجروا عليه ؛ بل كان الوثني يدخل النصرانية محملاً بالعقائد الوثنية ، والمعتقدات المتناقضة ، ولم يعترض عليه من قبل المسيحيين . لهذا تسربت الوثنية بكل ألوانها إلى النصرانية دون أن تجد من يتصدى لها ؛ بل علي العكس وجدت تربة خصبة ، وأرض طيبة لغرس ما تريده . وراعى يقوم علي أمرها أفضل قيام وهو "بولس " .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١ – الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة للإمام القرافي بتحقيق د . بكر زكى عوض ط سنة ١٩٨٦ م .

٢ – أديان العالم حبيب سعيد ط دار التأليف والنشر للمكتبة الأسقفية القاهرة .

٣ – الأسفار المقدسة د. على عبد الواحد وافي .ط نهضة مصر .

٤ – أساقفة كنيسة إنجلترا وألوهية السيد المسيح أ . أحمد ديدات ترجمة محمد مختار – ط المختار الإسلامي القاهرة .

٥ – إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي. تحقيق محمد أحمد مكاوي ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالرياض .

٦ – أقانيم النصارى د. أحمد حجازي السقا ط دار الأنصار القاهرة ط ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م .

٧ – إنجيل يوحنا الميزان د. محمد على زهران تقديم .أ – د سعد الدين السيد صالح ط دار الأرقم للطباعة والنشر ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

٨ – الله ذات وموضوعا د. عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر العربي ط ٣ سنة ١٩٨٣ .

٩ – الله واحد أم ثالوث د. محمد مجدي مرجان ط دار النهضة العربية القاهرة

١٠ – الله ذاته ونوع وحدانية عوض سمعان ط المكتبة الإنجيلية بقصر الدوبارة – القاهرة .

١١ – الله بين الفلسفة والمسيحية عوض سمعان ط المكتبة الإنجيلية بقصر الدوبارة – القاهرة .

١٢ – بين الإسلام والمسيحية لأبى عبيده الخزرجى تحقيق د . محمد شامة ط مكتبة وهبه ط ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .

١٣ – تأثر المسيحية بالأديان الوضعية د . احمد عجيبةجـ٢ . نشر مكتبة الأزهر الحديثة ط ١ .١٩٩٢ .

١٤ – تاريخ الأقباط . زكى شنودة . نشر لجنة التأليف والنشر ط١سنة١٩٦٢ م .

١٥ – التثليث بين الدين والتوحيد د. محمود على حماية ط دار النهضة العربية القاهرة.

١٦ – تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب . عبد الله الترجمانى الأندلسى. تحقيق د. محمود على حماية ط دار المعارف . القاهرة.

١٧ – تفسير الإمام الرازي ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط ٣ ط دار الفكر دمشق .

١٨ – تفسير المنار. للشيخ رشيد رضا ط دار المعرفة . بيروت ط .

١٩ – تفسير إنجيل متى . د نوح الغزالي مطبعة الحسين الإسلامية١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ط١ .

٢٠ – تكشيف التثليث في شرح وتفسير عقيدة التثليث للقس قائم الدين ط مطبعة لاهور باكستان ١٩٧٢ هـ .

٢١- التوحيد والتثليث .أشرف وليم صـ٢٤.ط المحبة القاهرة ١٩٩١م .
٢٢- تيارات ومذاهب معاصرة د . يحي ربيع . ط١ . ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .
٢٣- الثالوث الحياة . النور. الحب د . الأنبا يوحنا قلته. ط دار الثقافة ط ١ .
٢٤- الثالوث الذي نؤمن به مفيد كامل ط الكلية الاكلايكية القاهرة .
٢٥- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي د. محمد البهي ط مكتبة وهبه ط٦ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
٢٦- الجواب الصحيح لابن تيميه . ط المدني بالقاهرة .
٢٧- حقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس فاير فارس ط دار الثقافة ط٢ ١٩٨٦ .
٢٨- دراسات في النصرانية د. محمود محمد مزروعة بدون ذكر المطبعة .
٢٩- الديانات القديمة للشيخ . محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩١ م .
٣٠- روح المعاني للإمام الألوسي . دار الكتب العلمية بيروت . ط١ .١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
٣١- العقائد النصرانية في الميزان د. محمود سيد علي . الدار الإسلامية للطباعة والنشر ط١ . ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
٣٢- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية أ . محمد طاهر التنيير . بدون .
٣٣- عقيدتا التثليث والصلب في المسيحية وموقف الإسلام منها د . محمد أبو الغيط الفرت رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة .
٣٤- عقائد النصارى الموحدين : أ . حسن يوسف الأطير. ط دار الأنصاري القاهرة ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ .
٣٥- عقيدة التثليث نشأتها وتطورها وإبطالها للأستاذ الدكتور . محمد شلبي شتيوى ط مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. الكويت ط سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
٣٦- الفارق بين الخالق والمخلوق للإمام عبد الرحمن الباجة . بتصحيح ومراجعة عبد المنعم فرح درويش مطابع البيان البخارية الإمارات ط ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.
٣٧- فجر المسيحية . حبيب سعيد ط دار الجيل ١٩٧٧ م .
٣٨- في ظلال القرآن أ .سيد قطب ط دار الشروق ط ١٤٠٢ .
٣٩- قاموس الكتاب المقدس . مجموعة من علماء اللاهوت . إشراف . د . بطرس عبد الملاك ط دار الثقافة .
٤٠- القاموس المحيط للفيروزآبادي ط١ . مؤسسة الرسالة .ط٢
٤١- قصة الحضارة ول ديورانت . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٤٢- الكتاب المقدس. ط دار الكتاب المقدس .
٤٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للإمام محمود بن عمر الزمخشري . ط دار الكتاب العربي .الطبعة الثالثة بيروت لبنان ١٩٨٧م .
٤٤- لسان العرب لابن منظور طبع دار المعارف . القاهرة .

٤٥ – ما هي النصرانية أ .السيد تقي العثماني ط مكتبة دار العلوم – باكستان .

٤٦ – ما معنى المسيح ابن الله – نخبة من خدام الإنجيل ط ٢ .

٤٧ – محاضرات في النصرانية د . سهير الفيل بدون ذكر مطبعة .

٤٨ – محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربي .

٤٩ – المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن للأستاذ . عبد الكريم الخطيب ط دار الكتب الحديثة – القاهرة ط١ سنة ١٣٨٥ – ١٩٦٥م .

٥٠ – المسيحية د. أحمد شلبي ط دار النهضة المصرية .ط٨ .١٩٨٤م.

٥١ – المسيحية نشأتها وتطورها : شارل جنيبير ترجمة د.عبد الحليم محمود ط دار المعارف ط ٣ سنة ١٩٨٨ م .

٥٢ – المسيحية في الإسلام للقس . إبراهيم لوقا ط دار الكتاب القبطي ط٢ القاهرة .

٥٣ – مشكلات العقيدة النصرانية : الدكتور. سعد الدين صالح ط دار الطباعة المحمدية.

٥٤ – الملل والنحل للإمام الشهرستانى : تحقيق : أمير على مهنا ، على حسن فاعور ط دار المعرفة ط بيروت ط ٤ سنة ١٩٩٥ م ١٤١٥ هـ .

٥٥ – النصرانية والإسلام ، عالمية الإسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوي ط مطبعة التقدم – القاهرة .

٥٦ – النصرانية دراسة مقارنة د/ محمد رجب الشيتوى ط دار الطباعة المحمدية ط١ ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م .

٥٧ – هل المسيح هو الله ؟ د. القس لبيب ميخائيل . ط لوجوس برنت سنتر ط٥ ١٩٩٤ م .

٥٨ – يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د/ رءوف شلبي ط دار ثابت القاهرة .